دعوة الحق

دولة الباطل في فلسطين

القاضي الشيخ
محمد سويد

السنة الثامنة - العدد ٩١ - العام ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

تصدرها رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة





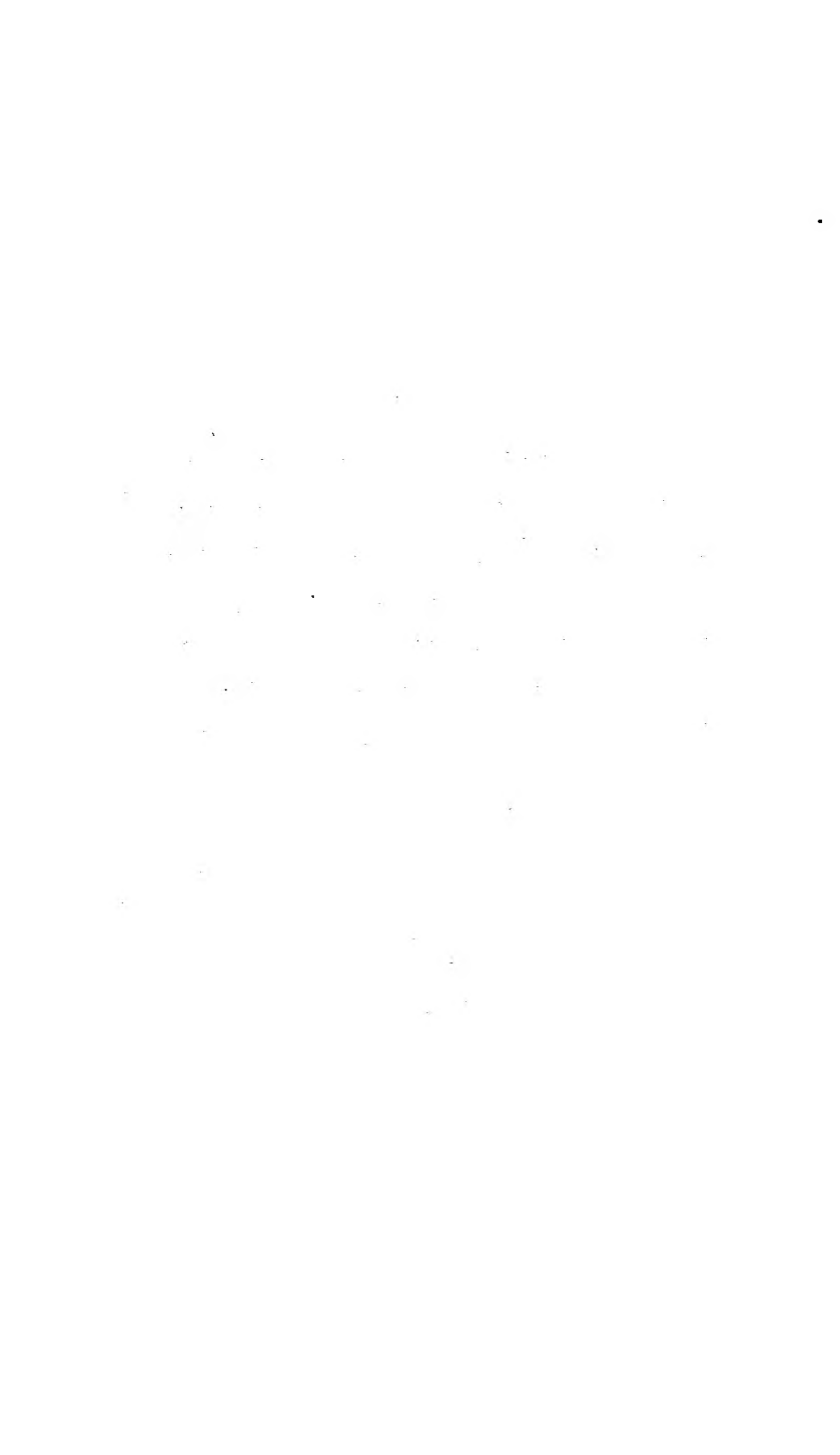


(تنبيـــه)

نأسف لحدوث خطأً في ترقيم بعض صفحات هذا الكتاب القيم تقديماً وتأخيراً مما سبب خللا في اتصال الكلام بين صفحة وصفحة . ونرجو المعذرة من المؤلف الفاضل والقراء الأعزاء ــ مع بيان ذلك فيما يأتي :

* صفحة (١٢) تنتهي بكلمة (لا يمكن) ــ تمامها في صفحة (٣١) حيث تبدأ بكلمة (تفسيرها) .
* صفحة (٣٠) تنتهي بكلمة (وهكذا) ــ تمامها في صفحة ــ ١٣ حيث تبدأ بكلمة (يبدو) .
* صفحة (٣١) تنتهي بكلمة (ينطلقون) ــ تمامها في صفحة ــ (١٤) حيث تبدأ بكلمة (العلاقة) .
* صفحة (١٣) تنتهي بكلمة (عرفوا في) ــ تمامها في صفحة (٣٢) حيث تبدأ بكلمة (مرحلة) .

وشكراً لقبول اعتذارنا ...



المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد الصادق الامين ، وعلى آله واصحابه اجمعين .

وبعد فان اختياري هذا الموضوع في هذه الظروف الصعبة التي تمر فيها القضية الفلسطينية والفلسطينيون بأدق المراحل واخطرها يستند الى حوافز دينية وقومية اهمها :

أولا : عرض القضية الفلسطينية وحقوق الفلسطينيين في وقت نسي فيه الناس ان الحق في ارض فلسطين المغتصبة هو للفلسطينيين وحدهم دون سواهم وان اليهود دخلاء مغتصبون وذلك على ضوء القرآن الكريم والتوراة وماكتبه علماء الغرب والشرق المعاصرون وعلى ضوء ابعاد المطامع الصهيونية ليس في ارض فلسطين وحدها بل في ماجاورها من اراض وبلدان .

ثانيا : مناقشة الحجتين الدينية والتاريخية اللتين يدعي اليهود بموجبهما حقهم في ارض فلسطين واثبات انهما حجتان واهيتان لاتقومان على اي اساس ديني صحيح ولا على حق قانوني مكتسب .

ثالثا : اثبات انه لا وجود لمقدسات يهودية في فلسطين خلافا لما درج عليه بعض المؤرخين ولا يهم نظر المنطق والقانون ادعاء اليهود خلاف ذلك .

ان الصهاينة تجاوزوا كل الاعراف واستهانوا بكل القيم في عدوانهم المستمر على فلسطين والاراضي العربية المجاورة وهاهم اليوم يردون على حجارة الاطفال والشباب والنساء الذين يعبرون عن رفضهم الاحتلال والاغتصاب في غزه والضفة الغربية بالرصاص القاتل وبقسوة وحشية لامثيل لها في تاريخ البشرية بالرغم من استنكار العالم وشجبه، وليس هذا بمستغرب من الصهاينة الذين قاتلوا الانبياء وقتلوهم، وصدقوا حكماءهم وفضلوهم، وهم نقضوا عهودهم مع الله فحرفوا كتبه في سبيل دنياهم، واقاموا المؤتمرات تلو المؤتمرات وحاكوا المؤآمرات منذ طردهم من فلسطين على ايدي الفرس والرومان وسواهم، ولم يخجلوا حين جعلوا الكذب مادة خامسة في بروتوكلات حكمائهم في سبيل استرجاع ارض الميعاد كما يسمونها وقد جاء في هذه المادة :

«حكم الجماهير والافراد بالنظريات المؤلفة بدهاء وبالعبارات الرنانة وبسنن الحياة وكل انواع الخديعة الاخرى الى قولهم : وسنزيف مظهرا تحرريا لكل الهيئات والاتجاهات كما اننا سنضفي هذا المظهر على كل خطبائنا وهؤلاء سيكثرون من الحديث والثرثرة بلا حد، ولضمان الرأي العام يجب اولا أن نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحي لكل اساليب الآراء المتضاربة حتى يضيع

الأميون في متاهات وعند ذلك سيفهمون ان خير الطريق التى يسلوكنها هو أن لايكون لهم رأي في المسائل السياسية ، هذه المسائل التى يجب ان لايدركها الشعب بل يجب ان تظل قاصرة على القادة الموجهين فحسب وهذا هو السر الاول ، والسر الثاني ان تتضاعف وتتضخم الاخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد حتى لايستطيع انسان ان يفكر بوضوح في ظلامها المطبق وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضا»[1] .

اليس مانسمعه في فلسطين اليوم وفي جوارها (الاراضي العربية المحتلة) من قادة اسرائيل من آراء متضاربه وكذب صريح هو تطبيق عملي لبروتوكلات حكماء صهيون ؟ .

اليس مانراه اليوم فيها من تخريب مقصود وهدم متواصل للابنية والمساكن العربية ومايسمونه بسياسة الارض المحروقة هو تطبيق عملي للتوراة ؟ .

لعل ما اكتبه اليوم عن هذه القضية بالذات يلقي الضوء على الباطل فيدحضه وعلى الحق العربي فينصره ، وكلي اعتقاد وامل في ان الباطل سينهزم وان الحق سينتصر ، وان زيف الصهاينة سينكشف وان مذلتهم ستدوم تحقيقا لقوله تعالى : ﴿**ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من الله**

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (شوقي عبد الناصر) ص ٨٤ و ٨٦ والخطر اليهودي لمحمد خليفه التونسي ص ١٣٢ و ١٣٣ ، بتصرف .

وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[٢] .

اما الذلة فهي في دمهم وطبيعتهم والمسكنة في مظهرهم وكلامهم ، فقد نشأوا مزدوجي الشخصيات يظهرون الولاء للوطن الذي يعيشون فيه فيتوددون الى الحكام ويسايرون قادة الشعوب التي يعايشونها وهم في الحقيقة يضمرون الولاء لاسرائيل دون سواها فيقدمون مصالحها على مصالح الوطن الذي يعيشون فيه وهذا مصدر ذلهم ومسكنتهم لانهم يخشون انكشاف حقيقة امرهم ، وقد رافقهم هذا الذل وهذه المسكنة الى ارض الميعاد كما يسمونها فتراهم يتقربون زلفى الى الدول والشعوب لكي تعترف بهم وبدولتهم العدوانية وهكذا يستبد بهم الخوف في ازدواجيتهم ويقودهم القلق على مصيرهم والسعي للاعتراف دوليا بهم الى التزلف والرياء وهذه ايضا من انواع الذل والمسكنة .

لقد قطع حبل الله بالنسبة لهم فباؤا بغضبه وحلت عليهم لعنته وبقي حبل الناس كاميركا وبريطانيا وسواهما وسينقطع هذا الحبل باذن الله عندما نتحد لاسترجاع حقوقنا ، وعندما ينكشف خداعهم وكذبهم الذي تصوره دعاياتهم الخبيثة وكأنه حقيقة لاريب فيها **﴿ويقولون متى هو ؟ قل عسى ان يكون قريبا﴾**[٣] .

---

(٢) سورة آل عمران آية ١١٢ . (٣) سورة الاسراء ٥١ .

الفصـــل الأول

من هم اليهــود ؟

من هم اليهود ؟

كتب المفكر الروسي (بودكو تيشنكوودييف) حول هذا الموضوع يقول : (ان مسألة من هو اليهودي وماهي اليهودية تعتبر باعتراف الصهاينة انفسهم اكثر المسائل غموضا ، ومعظم الناس بما في ذلك اليهود لايستطيعون تحديد مفهوم اليهودية والقانون الاسرائيلي الصادر في بداية سنة ١٩٧٠ يحدد الانتماء الى القومية اليهودية على اساس السمات العنصرية والدينية ، وطبقا للقانون اليهودي لايعتبر يهوديا الا من ولد لأم يهودية أو اعتنق الديانة اليهودية وفقا للمبادىء الدينية الصارمة وهذان الشرطان ينزعان صفة اليهودية عن كافة انصار اتجاهات الديانة اليهودية الاخرى (كالاصلاحيين والمحافظين) وعن عشرات الالاف من الاشخاص الذين ولدوا نتيجة الزواج المختلط ، وان بعض المنظرين الصهاينة ادراكا بان هذا التحديد يثير انتقادا عنيفا من جانب يهود العالم باسره ويضيق القاعدة الاجتماعية لليهودية ، يطرح معيارا (ايديولوجيا) اكثر اتساعا لتحديد الشخصية اليهودية وهو كل من يحس بأنه يهودي ونظر اليه من جانب الاخرين باعتباره يهوديا[1] .

وكتب الاديب الروسي (شاهنو فيتش) يقول : تبرز اليوم

(١) راجع مقال الكاتب في كتاب «الجوهر الرجعي للصهيونية» ص ٨ الى ٢٠ .

بشكل خاص منظمات الصهيونية العالمية بنشاطها المسعور وارتباطها الوثيق بالدوائر الحاكمة في اسرائيل ويتجه منظرو الصهيونية الى الماضي السحيق منقبين فيه عن منابع ايديولوجيتهم وهم يكادون في رجعتهم الى الوراء ان يصلوا الى القرن السادس قبل الميلاد الى زمان الاسر البابلي لليهود المشتتين في مختلف البلدان في دولة واحدة . هناك حيث كانت لليهود دولة قديمة عاصمتها اورشليم عند جبل صهيون ، الى ان قال حول الجنس اليهودي (يزعم الدعاة الصهاينة ان اليهود هم انقى جنس خلقهم الله ، فالعلم لايعرف اصل اليهود القدماء تلك القبائل السامية البدوية التى نزحت الى ارض فلسطين يقول (انجز) : ان اليهود يعتبرون كغيرهم من القبائل البدوية الصغرى وانهم انفصلوا مبكرا عن جيرانهم الذين ينتمون اليهم بصلة القربى ولكنهم ظلوا قبائل رحل . وكما قال (لينين) : (فان الفصائل القومية بل والعنصرية لليهودية مرفوضة من جانب الابحاث العلمية الحاضرة) فيهود العالم كله لايرجعون الى جنس واحد وليس في الطبيعة نمط عنصري محدد لليهودي ، اليهود الصينيون لهم ملامح صينية بارزة واليهود الحبشيون شديدو الشبه بالسكان الاصليين ، وما السمات العنصرية المتصورة لليهود غير ملامح مميزه لمجموعات معينة من اليهود بالقياس الى سكان هذا البلد او ذاك وهى ليست بحال من الاحوال ملامح

عامة مميزة لكافة اليهود الى ان يقول : ويمكن التأكد تماما من عدم وجود جنس يهودي بتناول الوضع في اسرائيل ذاتها ، وطبقا لمعطيات مجلة (النيوزويك) الاميركية يتجمع في اسرائيل اناس قادمون من تسعين بلدا وهم يتكلمون بسبعين لغة ، ففي اسرائيل الى جانب اليهود من اوروبا الوسطى وبلاد البلطيق والبلدان الاسكندنافية يوجد يهود الجزائر ذوو الشعر الاشعث ، واليهود السمر القادمون من الحبشة ، واشباه السود القادمون من الهند ، والصفر البشرة القادمون من الصين وكلهم متمايزون عن بعض بخصائل انتربولوجية وسيكولوجية ولغوية وفي كتاب (كاتسنيلسون) ثورة الاشكناز الصادر في عام ١٩٦٤ في تل ابيب تقف على حقائق عديدة حول العداء القائم بين مختلف المجموعات السلالية لليهود واليهود (السيفارد) الذين ترجع اصولهم الى اليهود الاسبان والبرتغالين يعيشون في اسرائيل في وضع المنبوذين من الجنة اليهودية ، وما اتعس حال اليهود السود فهم يشكلون اكثر من ٧٠٪ من اهالي الاحياء الاسرائيلية الفقيرة و ٨٠٪ من الشباب العاطل عن العمل و ٧٠٪ من محترفات البغاء ، وما اكثر الذرائع التى يتعلق بها الصهاينة لاثبات وجود جنس يهودي (فبسماتيك) يؤكد ان : اليهودية قد خلقت مثلا اعلى للعقيدة الوجدانية الاخلاقية التى لايمكن

يبدو اسهام الانسان في نص العهد القديم عظيما ، وانا لنتحقق دونما عسر من نص الى اخر ومن ترجمة الى اخرى ومع التصحيحات المستخلصة حتما ان النص الاصلي كان ممكنا تحريفه خلال اكثر من الفي سنة ، ويتساءل «بوكاي» من هو مؤلف العهد القديم ؟ فيقول : كم من قارىء للعهد القديم يلقي عليه هذا السؤال فلا يحير جوابا الا مرددا ماقرأه في مدخل التوراة بأن مؤلف هذه الكتب هو الله مع ان الذين كتبوها هم بشر من الذين اوحى الروح القدس اليهم ويقول : قبل ان تصبح التوراة مجموعة اسفار كانت تقليدا شعبيا يرتل عفويا من الذاكرة التى كانت في الاصل الوسيلة الوحيدة لتداول الافكار ، وفي المرحلة البدائية يسبق النظم النثر ، ولذلك كان الانشاد شأن كل شعب في اسرائيل كما في غيره ، وكان شعب اسرائيل ينشد لاسباب مختلفة يذكر منها (ادموند جاكوب) عددا : كاناشيد الموائد والحصاد ، والحرب ، كما كان يردد الامثال ويقول «ادموند» : «ان هذه الكلمات نقلت اما من الطريق العائلي او من طريق الهياكل بشكل رواية تاريخ الشعب المختار من الله ، وان الرواية وقد انتعشت بالصناعة الاسطورية لم تلف نفسها حائرة في موضوعات وعصور مجهولة من التاريخ «ثم يقول : انه من المرجح ان مايقصه العهد القديم عن موسى والاباء لايتفق الا قليلا مع السرد التاريخي للاحداث غير ان الرواة عرفوا في

العلاقة الوهمية بالارض التى خرج منها اسلاف اليهود منذ الاف السنين ، فمنذ القرن الاول للميلاد كان في فلسطين ٧٠٠ سبعمائة الف يهودي في حين كان عدد اليهود في البلاد الاخرى ستة عشر مليونا ، وفي الوقت الحاضر يبلغ عدد اليهود داخل اسرائيل حوالي ثلاثة ملايين بينما يبلغ عددهم خارجها حوالي عشرة ملايين وباعتراف (اري بينكوس) مدير الوكالة اليهودية في (جورا ساليم بوست) من اصل كل تسعة اشخاص يحضرون الى اسرائيل يعود فيما بعد الى وطنه الاصلي شخص واحد ، وتعتبر البطالة والفقر من اسباب الهجرة من اسرائيل ، وتدل الاحصاءات كما ذكرت مجلة (نوفيل اوبزرفاتير) الفرنسية على ان مستوى المعيشة الحالي لاكثر من ثلاثمائة الف اسرائيلي هو دون الكفاف فهؤلاء الناس محكوم عليهم بالوجود التعس ، وطبقا للمعطيات الرسمية وحدها تعيش خمس وستون الف اسرة اسرائيلية في حالة من الفقر التام . ويضيف الكاتب : ان الجماهير اليهودية لاترغب في الهجرة الى اسرائيل وهى تعتبر وطنها البلد الذي ولدت وتعيش فيه وقد صرحت بذلك طوائف يهودية عديدة في مختلف الدول فقد رحل من الولايات المتحدة الاميركية الى اسرائيل تسعة الآف فقط من اصل ستة ملايين ، وجاء في المجلة المذكورة حول الجوهر الديني للصهيونية تحت عنوان الخرافة السادسة للكاتب نفسه

مايلي : «يسعى المبشرون الصهاينة الى اتخاذ الديانة اليهودية قناعا لاهدافهم السياسية فمنذ المؤتمر الصهيوني الثالث عام ١٨٩٩ شكى هرتزل من ان ملايين المتدينين اليهود لايعرفون ولايريدون معرفة اي شيء عن الصهيونية» .

لقد حاول مفكرو الصهيونية بشتى الاساليب ربط الصهيونية بالدين اليهودي وذلك لان الصهيونيه قوبلت بالرفض من الجانب الاعظم لليهود الارثوذكس الذين لاينوون الرحيل عن البلاد التى ولدوا وعاشوا فيها وقد كانت حجة هؤلاء ان الفكرة الصهيونية لاقامة دولة دون انتظار «المخلص» انما تناقض مع «التلمود» الذي يقضي بأن الرب ذاته هو الذي سيجمع اليهود ، وقد بلغ الامر ببعض الحاخامات ان حرموا القادة الصهاينة من حقوق عضوية المعابد ودعوا اليهود المتدينين الى مقاطعتهم التامة على اساس ان افكارهم غير اليهودية تلحق الضرر بعقيدتنا المقدسة وتهدم اسسها وان التوراه تحرم الصهيونية . ولايزال «السفارد» الى الآن يرون ان «دولة اسرائيل» ليست هى الارض المقدسة حقا وان المخلص سيفتح امامهم ابواب ارض الميعاد «وقد كانت منظمة (جودات اسرائيل) الدينية المتطرفة تتخذ مثل هذا الموقف عند تأسيس دولة اسرائيل عام ١٩٤٧ ولكن الكثيرين من الحاخامات تحالفوا مع الصهاينة بالتدريج» .

في القرن التاسع عشر تخلت اليهودية الاصلاحية عن

الايمان بعودة اليهود الى فلسطين واسقطت من الشعائر الصلاة المتعلقة بذلك ، واعلن اليهود الاصلاحيون : (ان اليهود ليسوا امة بل طائفة دينية) كما اعلن الاصلاحيون في اميركا : (ان اميركا هى جبل صهيون صهيوننا) الا انهم وافقوا في مؤتمرهم المنعقد عام ١٩٣٧ على اقرار الاعلان الصهيوني وقد استغل الصهاينة شعار «اليهود شعب الله المختار» ودأب المفكرون المتقدمون على انتقادهم .

وقال الكاتب نفسه تحت عنوان (الخرافة الثالثة حول الامة اليهودية) : «يزعم الصهاينة وجود امة يهودية عالمية وقد انتقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي هذه النظرية واعتبرتها رجعية تتنافى مع الواقع لان اليهود الذين يعيشون في مختلف البلدان وفي ظل مختلف انظمة الحكم لايتمتعون بوحدة اقتصادية ولا بوحدة الارض والثقافة واللغة ، وان كثيرين منهم يؤكدون بأن اليهود امة «لامكانية» بالمعنى الروحي ويؤدي هذا الى الاعتقاد بانهم يحملون رسالة قومية روحية خاصة لكن الدين لم يضطلع ابدا بهذا الدور وليس في وسعه ان يضطلع به فليس نادرا مايعتنق ابناء الشعب الواحد اديانا مختلفة وبالعكس فقد تعتنق شعوب مختلفة دينا واحدا فقد كان اليونانيون والرومان القدماء يدينون بارباب واحدة كذلك فان المسيحية والاسلام لم يحولا دون نشوء

شعوب وامم وثقافات متباينة[٣] .

يقول المؤرخ الفرنسي (رينان) : «ان الملامح الخاصة لليهود ونمط حياتهم تعتبر نتاجا للظروف الاجتماعية التى اثرت فيهم على مدى القرون اكثر بكثير مما تعتبر ملمحا عنصريا والواقع ان اختلاط الناس من شتى القارات على مدى القرون ادى الى ان الارض لم يعد يعيش فوقها منذ زمان جنس واحد نقي» .

ويقول المفكر الفرنسي المسلم (روجيه غارودي) «حينما وعت الطوائف اليهودية ان اعدائها هم الذين فرضوا عليها ان تكون عرقا او (امة) كان لها من ذلك الوعي ماجعلها ترفض هذه العزلة والتفرقة ففي عام ١٩١٩ عارضت غالبية اليهود الالمان استفزازات الصهاينة فاعلنت : «نحن المان ديننا اليهودية ، ان الجرمانية تعنى لدينا الانتماء الى امة وشعب ، اما اليهودية فتعني لدينا دينا وملة ، نحن لسنا امة يهودية وانما طائفة تدين باليهودية» ، واضاف جارودي : «بأن مؤتمر الحاخامات في بتسبرغ عام ١٨٨٥م اعلن مايلي : نحن لانعتبر انفسنا امة وانما نحن طائفة دينية ، نحن لانتظر العودة الى فلسطين ولانمارس شعائر التضحية التقليدية ولانعمل على

---

(٣) راجع مقال (خرافات الصهيونية السبع) للكاتب : شاهنوفيتش . (الجوهر الرجعي للصهيونية) ص ٢٣ .

احياء اي تشريع يخص اقامة دولة يهودية[٤] .

وهكذا نرى ان اليهود ليسوا شعبا واحداً ولا يرجعون الى جنس واحد وان رأيهم في العودة الى ارض الميعاد كما يسمونها ليس واحدا .

الحجة الدينية

يستند الصهاينة في دعواهم الزائفة (حقهم الآلهي) في ارض فلسطين الى حجتين دينية وتاريخية .

اما الحجة الدينية فهى التوراة التى تزخر بالنصوص الواعدة حينا والمحرضة احيانا على اغتصاب ارض الكنعانيين وغيرهم من الشعوب المجاورة بالقوة بل بالابادة الكاملة لسكانها الاصليين ، وهانحن نسوق بعض الامثلة من هذه النصوص :

ورد في سفر التكوين اصحاح ١٢ : ٦ – ٧ (وظهر الرب لابرام وقال : لنسلك اعطى هذه الارض) ثم تكرر الوعد على التوالي حتى نهاية الاصحاح السادس والعشرين من سفر العهد القديم ففي سفر التكوين : اصحاح : ١٧ – ٨ ورد مايلي :

«واعطي لك ولنسلك من بعدك غربتك كل ارض كنعان

(٤) انظر كتاب المؤلف (فلسطين ارض الرسالات السماوية) ص ١٦٦ .

ملكا ابديا» وفي سفر التكوين اصحاح ١٥ - ١٨ «في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات» . ثم جدد هذا الوعد لاسحاق ويعقوب ونسلهما من بعدهما فقال : انا الرب آله ابراهيم ابيك وآله اسحق ، الارض التى انت تضجع عليها اعطيها لك ولنسلك «تكوين اصحاح : ٢٨ : ٣ وجاء في سفر الخروج الاصحاح : ٣٣ : ١ - ٣ «وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا انت والشعب الذي اصعدته من ارض مصر الى الارض التى حلفت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك اعطيها وانا ارسل امامك ملاكا واطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين» .

«احفظ ما انا موصيك اليوم ها انا طارد من قدامك الاموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، اياك ان تقطع عهدا مع سكان الارض التى انت آت اليها لئلا يصيروا فخا في وسطك» خروج اصحاح : ٢٤ - ١١ - ١٢ .

ثم توسع المهندس «يهوه» في رسم خريطته التوسعية بعد ان كانت مقتصرة على «هذه الارض» اي ارض الكنعانيين لتشمل لبنان وقسما من سوريا ومصر والعراق فقد جاء في الاصحاح الثالث عشر من سفر يشوع «وشاخ يشوع ، تقدم الايام فقال له الرب : «انت قد شخت ، تقدمت في الايام

وقد بقيت ارض كثيرة جدا للامتلاك هذه هى الارض الباقية : كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو امام مصر الى تخم عقرون شمالا تحسب للكنعانيين اقطاب الفلسطينيين الخمسة : الغزي ، والاشدودي ، والاشقلوني ، والجتي ، والعقروني ، والعويين ، من الثيمن كل ارض الكنعانيين ومغارة التى للصيدونيين الى افيق الى تخم الاموريين وارض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماه جميع سكان الجبل من لبنان الى مسرفوت مايم جميع الصيدونيين انا اطردهم من امام بني اسرائيل» يشوع : ٢٥٨ : ١٣ - ١ .

وجاء في سفر التثنية الاصحاح الحادي عشر (فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم واربطوها علامة على ايديكم ولتكن عصائب بين عيونكم ، وعلموها اولادكم ، متكلمين بها حين تجلسون في بيوتكم ، وحين تمشون في الطريق ، وحين تنامون ، وحين تقومون ، واكتبها على قوائم ابواب بيتك وعلى ابوابك ، لكي تكثر ايامك ، وايام اولادك ، على الارض التى اقسم الرب لآبائك ان يعطيهم اياها) ٢٦٧ : ١١ - ١٣ .

ثم تتصاعد لهجة (يهوه) من الوعد الى الوعيد في سفر التثنية الاصحاح الثاني عشر «هذه هى الفرائض والاحكام التى

تحفظون لتعملوها في الارض التى اعطاك الرب آله ابائك لتمتلكها ، كل الايام التى تحيون في الارض ، تخربون جميع الاماكن حيث عبدت الامم التى ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء وتهدمون مذابحهم وتكسرون انصابهم وتحرقون سواريهم بالنار وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان» تثنيه ١١ و ١٢ .

وجاء في سفر التثنيه الاصحاح ٢٠ : ١ – ١٨ مايلي :

«حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح فأن اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء والاطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتاكل غنيمة اعدائك التى اعطاك الرب الهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الامم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك ايضا فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما (اي ابادة كاملة) الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما امرك الرب الهك ، لكي لايعلموكم ان تعملوا حسب ارجاسهم التى عملوا لآلهتهم

فتخطئوا الى الرب الهكم .

وجاء في الاصحاح السادس من سفر التثنية : ١١ — ١٣
«ومتى اتى بك الرب الهك الى الارض التى حلف لابائك ابراهيم واسحاق ويعقوب ان يعطيك الى مدن عظيمة جدا لم تبنها ، وبيوت مملؤة كل خير لم تملاءها ، واثار محفورة لم تحفرها ، وكروم وزيتون لم تغرسها ، واكلت وشبعت فاحترس لئلا تنسى الرب الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية» .

هذا غيض من فيض وقليل من كثير من تلك النصوص التى تغص بها اسفار العهد القديم وهى تحمل الوعد والوعيد بطرد الشعوب الآمنة من ارضها وبلادها وتقديمها هبة سخية بمن فيها وماعليها الى بنى اسرائيل ، نضعها بين يدي القارىء الكريم للبحث والمناقشة .

تحريف التوارة

عندما يلجأ الانسان الى تحريف مستند او كتاب او حديث او اي شيء آخر يعمل على تغيير كلمة او عبارة او يدخل نصا جديدا عليه او ينقص نصا موجودا فيه لكي يؤمن مصلحته التى هو بحاجة اليها ، فنحن نرى انه لاحاجة اشد

وطأة من حاجة اليهود يومذاك الى وطن كانوا يحلمون بالبقاء فيه بعد مرورهم في رحابه بصورة متقطعة كما سنبين ذلك في بحثنا الحجة التاريخية .

لقد جلب اليهود معهم الى فلسطين الآله «يهوه» وهو آله قبائلهم القاسي الجاف فانطقوه بما لم ينطق وقالوا بلسانه مالم يقله وذلك بعد ان طردوا من فلسطين وشتتوا في سائر اقطار الدنيا ودمر الهيكل وانهارت مملكتا اسرائيل ويهوذا واعتقد الكثيرون منهم ان ماحل بهم هو عقاب يهوه الذي تخلوا عنه ولكنهم في الحقيقة تخلوا عن التوراة الحقيقية واتبعوا اقوال حكمائهم الذين عمدوا الى تحريف التوراة تبعا لحاجة اليهود .

ان اليهود ليسوا بحاجة الى العبادات وهذا آخر مايفكرون فيه وكذلك شأنهم في المعاملات التى جاءت بها التوراة فهم لم يعبدوا الله الحقيقي بل عبدوا اهواءهم واطماعهم واتبعوا اقوال حكمائهم ، وما كان العهد الذي عاهدوا الله عليه الا العهد الذي بينه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم **﴿واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل ، لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامي والمساكين ، وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون﴾**[٥] .

---

(٥) البقرة ٨٣ .

ولم يكن ذلك العهد الا مشروطا ، قال تعالى : **﴿يابني اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون ، وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولاتكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون﴾**(٦) .

لكن مكذبي الكتب السماوية وقاتلي الانبياء لم يفوا بما عاهدوا الله عليه بل نقضوا ميثاقهم فقال تعالي : **﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾**(٧) .

اننا نقول بتحريف التوراة استنادا الى ماجاء في القرآن الكريم في هذا الموضوع ، والى التوراة نفسها ، والى اقوال بعض العلماء والمؤرخين القدماء والمعاصرين من اجانب وعرب .

الدليل من القرآن الكريم

لقد اشار الله سبحانه الى هذا التحريف في عدة مواضع من القرآن الكريم فقال تعالى : **﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع**

(٦) البقرة : ٤٠ ــ ٤٢ .
(٧) المائدة ١٣ .

وراعنا ليًا بالسنتهم وطعنا في الدين ، ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾[8] .

وقال سبحانه : **﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولاتزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم﴾**[9] .

وقال سبحانه : **﴿يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾**»[10] .

وقال سبحانه : **﴿افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يستمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون﴾**[11] .

هذه الايات الكريمة تؤكد تاكيدا قاطعا مضمون الميثاق او العهد الذي قطعه اليهود على انفسهم امام الله المفصل في الآيات السابقة وقد حوله الصهاينة فيما بعد الى وعد بالارض «ارض كنعان» التى حلف الرب «يهوه» واقسم ان يهبها الى بني اسرائيل ، وهل يصدق عاقل ان الخالق يحلف للمخلوق

---

(٨) النساء ٤٦ .
(٩) المائدة ١٣ .
(١٠) المائدة ٤١ .
(١١) البقرة ٧٥ .

ليصدقه ؟ أو يصدق ان الله سبحانه يحلف بذلك وهو يعلم ان اليهود سينقضون العهد ؟ وبمن وعلى من يحلف الله ويقسم ؟ قد يعترض احدهم ويقول : ان الله اقسم بالقرآن على اشياء كثيرة ، وجوابنا ان الله اقسم بهذه الاشياء : كمواقع النجوم والقرآن والتين والزيتون والسماء وغيرها ليلفت انظار خلقه الى المعجز من صنعه او ماوراء هذا المصنوع من منافع لهم ، لا من اجل ان يرتبط قسمه بوعود ظالمة تحرم المستحق وتعطي من لايستحق وتنتزع الملك من مالكيه لتهبه الى من لاحق لهم فيه .

ثم ان الآيات التي ذكرناها تشير الى التحريف الذي يتقنه اليهود بصورة عامة اما التحريف في التوراه فقد اشار اليه الله سبحانه وتعالى بقوله : **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾**(١٢)

وبقوله أيضاً : **﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾**(١٣) .

وقد صنف الشيخ علاء الدين خطاب الباجي كتابا في

---

(١٢) سورة البقرة آية ٧٩ .
(١٣) سورة الانعام آية ٩١ .

السؤالات على الفاظ التوراة ، اورد فيه التحريفات والتبديلات الواردة فيها .

الدليل من التوراة

كرر «يهوه» وعده لابراهيم ونسله باعطائهم ارض كنعان ثم توسع الوعد فشمل غيرها من الاراضي المجاورة ، ثم جدد الوعد لاسحاق ويعقوب ونسلهما فأين اسماعيل إبو العرب ؟ واين نسله من العرب ؟ ولماذا استثنى وكأنه لم يكن ؟ ولماذا لم يقبل الرب طلب ابراهيم بشأنه وقد كان بارا ومطيعا لوالده فأعرض يهوه عن اسماعيل واعطى عهده لاسحق الذي كان لم يولد بعد كما اخبرتنا التوراة : وقال ابراهيم لله : «ليت اسماعيل يعيش امامك ، فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحاق واقيم عهدي معه عهداً ابديا لنسله من بعده واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها انا اباركه واثمره واكثره كثيرا جدا اثنى عشر رئيسا يلد واجعله امة كبيرة ، ولكن عهدي اقيمه مع اسحق الذي تلده لك ساره في هذا الوقت في السنة الآتية (سفر التكوين اصحاح ١٧) .

أليس هذا كله من صنع اليهود الذين حرفوا الوعد المطلق (لك ولنسلك من بعدك) ؟ ثم اضافوا اسحاق ويعقوب تماما

كما حرفوا عبارة التوراة التي تخص اسماعيل؟ فقد جاء فيها : «وقال لها ملاك الرب «اي لهاجر» ها انت حبلى فتلدين ابنا اسمه اسماعيل لان الزب قد سمع لذلتك وانه يكون انسانا وحشيا» سفر التكوين : اصحاح ١٦ .

«هذه العبارة وردت في العبرية هكذا : بهى «فره آدم» فحرفوها بقولهم انه يكون انسانا وحشيا وحقيقتها انه يكون انسانا قويا ولكنهم لم يجدوا اسوأ من كلمة وحشي ليصفوا بها اسماعيل[١٤] «قاتلهم الله انى يؤفكون»[١٥] .

١- ان التوراة لاتنكر ان اسماعيل هو ابن ابراهيم البكر ولكن اليهود اغفلوا اسمه لكي لايكون للعرب اي نصيب في ارض آبائهم واجدادهم ووضعوا النصوص التي اشرنا اليها ليقولوا ان الله غير راض عن اسماعيل وانه معرض عنه ، وانه ابن جاريه ، ولذلك لم يعده بأرض كنعان بالرغم من مطالبة ابراهيم اقامة العهد مع ولده اسماعيل .

٢- ان الوعد اقتصر في بادىء الامر على عبارة (هذه الارض) ثم زادها الحاخامات فيما بعد بقصد التوسع في الارض المجاورة .

٣- لنفرض على سبيل الجدل صحة الوعد الالهي المقطوع فهو وعد مشروط بسلوك اليهود سبيل التقوى ولذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم : «يابني اسرائيل

---

(١٤) قصص الانبياء لعبد الوهاب النجار ص ٩٤ . (١٥) التوبة : ٣٠.

اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم»[١٦] ، وعهد الله كما سبق بيانه ان يعبدوه وحده ويتقوه حق تقاته بسلوك سبل الخير والصلاح ، ولكنهم اخلوا بالشرط فقتلوا الانبياء واقترفوا ما اقترفوه من الذنوب والاثام فلعنهم الله بنقضهم الميثاق ويترتب على هذا ابطال الوعد للاخلال بالشرط ومعاقبة المخلين به .

ففي سفر القضاة اصحاح - ٢ تخلى الرب عن وعده باعطاء اليهود ارض كنعان حيث نقرأ : «وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا «البعليم» وتركوا اله ابائهم الذي اخرجهم من مصر وساروا وراء الهة اخرى من الهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها واغاظوا الرب فحمي غضب الرب عليهم فدفعهم بايدي ناهبيهم وباعهم بيد اعدائهم ولم يقدروا على الوقوف امام اعدائهم وقال الرب من اجل ان هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذي اوصيت به اباءهم ولم يسمعوا لصوتي فانا ايضا لا اعود اطرد انسانا من امامهم من الامم الذين تركهم يشوع عند موته» .

٤- اي عاقل يصدق ان الآله سفاح ظالم يقتلع الشعوب من جذورها ويحكمها بالابادة الكاملة نساء واطفالا ورجالا

---

(١٦) البقرة : ٤٠

ابرياء واشرارا ان هي وقفت تدافع عن ارضها في وجه الغاصب المحتل؟ ان الله عادل ورحيم يامر بالمحبة والعدل والذود عن الوطن وحاشى ان يصدر عن الله مثل هذا الكلام .

ان التوراة نفسها تعترف بان الارض للفلسطينيين وان الكنعانيين هم اصحابها وبناتها الاصليون «ساعطيك مدنا عظيمة لم تبنها وبيوتا مملوءة خيرا لم تملاءها ، واثارا محفورة لم تحفرها وكروم زيتون وعنب لم تغرسها» .

الدليل في اقوال الكتاب والمؤرخين

قال احد الكتاب الفرنسيين المعاصرين «موريس بوكاي» في كتابه التوراة والانجيل والقرآن والعلم مانصه : ان العهد القديم مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول ومختلفة النوع كتبت خلال اكثر من تسعة قرون في لغات عدة اخذا بالسماع وكثير من هذه المؤلفات صحيح ثم **اكمل تبعا للاحداث او الضرورات الخاصة على مدى اجيال متباعدة احيانا بعضها عن بعض**[١٧] .

وقال «بوكاي» في موضع اخر من هذا الكتاب : وهكذا

(١٧) انظر صفحة ٢٠ من الكتاب المذكور .

تفسيرها الا : بالنفسية العنصرية المتميزة لليهود الفلسطينيين. وينطلق قادة الصهاينة بشعارات : وحدة الدم والاخوة في الدم ونداء الدم وقد اثبت العلم انتفاء الفوارق بين دماء مختلف الاجناس والشعوب فالدم ينقسم من حيث تركيبه الكيماوي الى عدة فصائل وتوجد فصائل الدم هذه حتى عند القردة وقد ابدى هذا الهراء العنصري الى اتخاذ الكنيست الاسرائيلي قانونا يعتبر اليهودي من يولد لأم يهودية ويدين باليهودية)[٢] .

وحول السؤال الثاني يقول الكاتب نفسه في المقال نفسه تحت عنوان (الخرافة السابعة حول ارض الميعاد : يؤكد دعاة الصهيونية وكأن التعلق بارض الميعاد قد عاش منذ القرون في قلب كل يهودي وعلى الرغم من مزاعم التطلع الايدي الى فلسطين لم يظهر اليهود تطلعا الى الرحيل الى هناك ، فقبل الحرب العالمية الاولى كان تعداد السكان في فلسطين يبلغ ٧٥٠ سبعمائة وخمسون ألف نسمة ثمانية اتساعهم من العرب وتسعهم فقط من اليهود وقد عبر الكاتب اليهودي (ميندل لانجر سفوريم) عن مزاج الملايين من اليهود بقوله : (ان وطننا هو البلد الذي ولدت وماتت فيه اجيال عديدة من اسلافنا والذي ولدنا نحن ونعمل وسوف نموت فيه) . ان الصهاينة لاينطلقون من العلاقة الفعلية لليهود بالوطن الحقيقي حيث ولدت وعاشت وعملت اجيال عديدة ، بل ينطلقون من

(٢) نقل بتصرف انظر المرجع السابق ص ٢٣ .

مرحلة النقل الشفهي كيف يفرغون في العمل فيضا من الاناقة والخيال ليصلوا بينها بوقائع مختلفة وفقوا معها الى ابراز ماحدث لدى بداية العالم البشري كما لو كان قصة معقولة في النهاية عند بعض الناقدين ، على ان ثمة مجالا للتفكير بانه بعد استقرار اليهود في أرض كنعان اي في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد استعملت الكتابة دونما دقة لنقل العرف والمحافظة عليه حتى بالنسبة للشرائع التي يخيل للناس انها ذات ديمومة اطول ومن بين هذه الشرائع التي قيل انها كتبت بيد الله الوصايا العشر التي نقلت في العهد القديم بمقتضى نصين : سفر الخروج ٢٠ - ١ - ٢١ ودوتر ونوم : ٥ - ١ - ٣٠ جوهرهما واحد ولكن التلّون والتغيير فيهما باديان» .

وكتب الاستاذ ندره اليازجي صاحب «دار الغربال للطباعة والنشر» في دمشق في كتابه : «رد على اليهودية واليهودية المسيحية»[١٨] فقال : «ان الدراسات الحديثة تشير الى ان التوراة ليست من وضع موسى بل من وضع احبار اليهود وعلى رأسهم (نحميا وعزرا) اللذان ارادا تجميع اليهود ضمن بوتقة واحدة ، وسياسة واحدة معتمدين الدين كما كرر قوله

---

(١٨) الكتاب يدعو الى فك الارتباط بين العهد القديم والعهد الجديد وبين المسيحيين انفسهم والعهد القديم للاسباب التى اشار اليها ، انظر الصفحة ١٧٢ .

هذا[١٩] مضيفا «يؤسفنا القول ان موسى الحقيقي لم يكن هو موسى الذي وضعته ريشتا (عزرا ونحميا) اللذين لفقا التوراة وتحدثا عن كل ما اراداه بلسانه» وقال الاستاذ اليازجي في كتابه المذكور ص ١٧٣ : «يامر يهوه بني اسرائيل ان يبيدوا الرجال والنساء والاطفال والحيوانات لكي لايبقوا على شيء نجس كلما قهروا مدينة فهل يعقل ان يامر الاله الحق بابادة الاخرين ؟ ويجيب على ذلك فيقول : «ليس الله من يامر بل يهوه اله النقمة ، الله يامر بالمحبة» ويقول في الصحيفة نفسها ولهذا تُعلّم الموسوية التوراتية اليهودي ان كل شيء مباح له اذا كان يخص الغير فعندما تقول الشريعة لا تزن فانما تمنعه عن الزنا من الاسرائيلية وتبيحه مع الاجنبية ، فالزنا والسرقة والكره امور تباح مع الاجنبي فقط ثم يتساءل «اليازجي» في الصفحة ١٨٨ فيقول : ماذا تعلمنا التوراة ؟ ويجيب على ذلك لاتعلمنا التوراة درسا اخلاقيا فهي مدرسة للفساد والشر فكل شخصية فيها او شخص يحمل في ثناياه بذور الانحطاط فتصل اعماله الى درجة دنيا من المكر والخديعة والشهوة واذا حاولنا ان نقدم اطارا للخلفية الخلقية عند اليهود وبني اسرائيل فلكي نظهر ان كتابا من هذا النوع هو التوراة لايفيدنا بشيء بل يؤذينا كثيرا لذلك لانسمى ماجاء في التوراة دينا فالاديان تأتي لتصلح لا لتهدم وفي التوراة لانجد الا التهديم الخلقي

(١٩) انظر الصفحة ١٨ .

والتشجيع على المنكرات والفحشاء ثم يقول : «ان الصهيونية مشتقة من جبل صهيون «جبل الرب» الذي توجد فيه محافل الملائكة ويعتقد اليهود انه يجب عليهم عبادة الله على هذا الجبل اذ هو مقدس في نظرهم وهو اي جبل صهيون لايختلف في رأيه عن جبل الاولمبيا الذي اعتقد اليونانيون بانه كان جبل الالهة ، فاليهودي بزعمه لايستطيع ان يعبد الله الا في اورشليم وفي الهيكل وعلى جبل صهيون وهكذا فإن الصهيونية قائمة على اليهودية» .

وكتب رئيس تحرير مجلة العربي الاستاذ احمد بهاء الدين في العدد الصادر خلال شهر كانون اول ١٩٧٨ نقلا عن كتاب (المئة الاوائل) لمايكل هارث الذي يقول بعد اختياره محمدا ﷺ اهم رجل في التاريخ الانساني كله قائلا في معرض شرحه للنصارى المسيحيين اسباب هذا الاختيار ومبرراته : لايوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقي بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقل عن محمد الامر الذي لاينطبق على التوراة والانجيل وان المسيحية لم تقم بجهد رجل واحد مثل محمد بل قام بالجهد اثنان عيسى وبولس الرسول وان الفقه المسيحي صاغه وفصله بولس الرسول وهو الذي كتب جزءا كبيرا من العهد الجديد» .

وقال المفكر الفرنسي المسلم المعاصر «روجيه غارودي»

بشأن التوراة : قامت عملية لملمة للماثورات الشفوية تشمل تاريخ العالم كله وكان نتاج عملية اللملمة هذه هو التوراة التى يدعوها المسيحيون اسفار موسى الخمسة وعلى مدى مايقرب من الفي عام اعتبرت هذه الاسفار على انها بقلم موسى نفسه ثم لم يُنكر هذا الزعم الا في القرن الثاني عشر ميلادي على يد (بن عزرا) ولم يظهر اي امتحان نقدي له الا في القرن السادس عشر حينما نبه «كارل شتات» الى ان موسى لم يكن ليستطيع ان يروي حكاية موته بنفسه وبعد قرن من الزمان عام ١٦٧٨م قام الكاهن «ريشارد سيمون» بنشر كتاب بعنوان «التاريخ النقدي للعهد القديم يبرز فيه اللامعقولية في التاريخ الى جانب الوان التكرار والفوضى في السرد واختلاف الاساليب نافيا بذلك ان تكون اسفار موسى الخمسة كلها من صنع رجل واحد ، نعم ، لقد احدث ظهور كتاب هذا الكاهن فضيحة كبرى» .

وجاء في كتاب «القضية . الفلسطينية والخطر الصهيوني»[٢٠] في مناقشة هذه الامثلة وغيرها من نصوص التوراة الافتراض السائد ان اليهود وحدهم يستأثرون بالوعود الالهية المقطوعة لنسل ابراهيم وهذا لايتفق مع النص الديني

(٢٠) راجع كتاب (القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني مؤسسة الدراسات الفلسطينية ووزارة الدفاع الوطني في لبنان بيروت طبعة أولى ١٩٧٣ ص ١٦٨ .

بل يقوم على التحريف والتضييق المتعمد ان لايقتصر نسل ابراهيم على اسحاق ويعقوب بل يشمل بالضرورة جميع المتحدرين من نسل ابراهيم الذين لهم الحق الاصلي في اعتبار انفسهم من نسله وذريته لان هذا النسل كل لايتجزأ وقد جاء في النصوص الدينية مطلقا ، كما لايخفى ان عهد الختان* مع ابراهيم تكوين - ١٧ والوعد باعطائه هو ونسله من بعده ارض كنعان ملكا ابديا وقع ايام اسماعيل اي ان الذي اختتن كان اسماعيل حين لم يكن اسحاق قد ابصر النور بعد» .

ويقول الكتاب نفسه : ان النصوص تشير الى ان «هذه الارض» انطلاقا من نابلس حتى تصل الى نهر مصر والفرات ، ومما يستبعد كون الارض الممتدة من النيل الى الفرات وقفا على الاسرائيليين وحدهم بالضرورة والاستثناء فالوعد بها قد حصل قبل ولادة اسماعيل واسحاق على السواء وها هو البروفسور (غليوم) يؤكد ان هذه المنطقة كانت دائما في حوزة العرب ولم يشذ عن ذلك سوى الفترة التي قامت فيها سلطة سليمان ، كما ان اشتمال الوعد على منطقة «شرقي الاردن» يرجع الى ماقبل ولادة اسماعيل واسحاق ولو صح ان موسى كلم العبرانيين لينقل اليهم الاوامر الالهية بالتوجه لاحتلال البلاد الواقعة بين المتوسط غربا ونهر الفرات شرقا وبين النقب جنوبا وجبل لبنان شمالا ، فان هذه الاوامر

لم تنفذ وعجزوا عن تنفيذها وفشلوا في احتلال المناطق الساحلية التي سيطر عليها الفلسطينيون ولم يشرفوا ابدا على الساحل الفينيقي بموانئة والمناطق الداخلية المتاخمة له ، ولا غرو فان الاشارة الى امبراطورية داوود وسليمان لايمكنها القيام مقام رقعة الارض الموعودة فالمعروف ان عملية التأكل والتفكك في امبراطورية داوود بدات قبل نهاية حكم سليمان واستمر التقلص على هذه الحال حتى اصبحت مملكة يهوذا محصورة في رقعة ارضية لاتتجاوز بضع مئات من الاميال المربعة حول القدس حتى هذه استولى عليها البابليون سنة ٥٩٧ قبل الميلاد[٢١] .

ويقول الكتاب ايضا : ان نص عبارة اعطاء الوعد بالارض بعبارة (ملكا ابديا) لاتفيد الى الابد فالترجمات الانكليزية والعربية اعتبرت لفظة الى الابد مرادفة لكلمة (عولام) العبرية بينما المعنى الاصلي لايدل على الابد بل يفيد الحين من الدهر او الفترة من الزمن .

ويقول «الفرد غليوم» في ذلك ان ارض فلسطين لم يوعد بها اليهود وحدهم دون سواهم في الاصل والوعد الاول كان غير محدد «هذه الارض» ثم جرى توسيعة في وقت لاحق

(٢١) راجع الدراسات النقدية التي كتبها المستشرق البروفسور الفرد غليوم بعنوان «الصهيونيون والكتاب المقدس» والتي نشرتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية مع ابحاث اخرى تتصل بالموضوع في كراس بعنوان : «فلسطين والكتاب المقدس» بيروت ١٩٦٧ ص ١٣ ، ١٨ .

حتى بات يشمل شرق الاردن وسوريا ولبنان واراضي البدو الممتدة حتى الفرات فلم يكن على الاطلاق ثمة وعد غير مشروط بملك ابدى وان كان المقصود فترة طويلة غير محدودة .

«ثم ان الشق الثاني للميثاق العهد بين اسرائيل والرب كان يشترط على اسرائيل الولاء والطاعة (تكوين ١٧ - ٩) بالاضافة الى الاستقامة والصلاح على صعيد الفرد والجماعة وعدم الوفاء بهذه الشروط كان معناه سوء المصير وبالتالي ابطال الوعود الالهية وهذا ماحدث بالضبط حين فهم انبياء اسرائيل الكوارث التى نزلت بالشعب اليهودي على انها تبرير واثبات للعدالة الالهية الموجهة ضد شعب عاق متنكر للجميل»[٢٢] .

ومن المفيد ان نذكر ان التمليك الابدي الذي زعمه اليهود ذكره القرآن بعبارة لاتدل على التمليك حين تحدث عن فشل اليهود في دخول اريحا ومواجهة العمالقة لهم وعدم تمكينهم من تحقيق اهدافهم فقال تعالى : **﴿واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم مالم يؤت احدا من العالمين ، ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولاترتدوا على اعقابكم خاسرين ، قالوا ياموسى ان فيها قوما**

(٢٢) انظر كتاب القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ١٦٩ .

جبارين﴾[23] .

لقد فسر بعض العلماء قوله تعالى : «**ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم**» فرأى قتاده انها * الشام ومجاهد : الطور وماحوله ، وابن عباس والسدى وابن زيد انها اريحا ، والزجاج انها دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقول قتادة يجمع هذا كله .[24] وقالوا في تفسير الآية أي فرض دخولها عليكم ووعدكم دخولها وسكناها لكم على انني افسر «كتب» في قوله تعالى التى كتب الله لكم بمعنى قدر بدلا من فرض اي قدر لكم ان تدخلوها مطابقة لقوله تعالى «ادخلوا» فالاسرائيليون حينما خرجوا من مصر بقيادة موسى مجتازين البحر الاحمر لم يكن امامهم الا ان يدخلوا هذه البقعة من الارض والامر بقتال من يعارضهم في دخولها لم يقرره الله سبحانه بل قرره «يوشع بن نون» ويؤيد ذلك ماجاء في سفر التثنيه اصحاح ٣١ : ١ - ٤ «فذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع اسرائيل وقال لهم انا اليوم ابن مئة وعشرين سنة لا استطيع الدخول والخروج بعد والرب قد قال لي لاتعبر هذا الاردن ، الرب الهك هو عابر قدامك ، هو يبيد هؤلاء الامم (والشعوب من قدامك فترثهم ، يشوع عابر قدامك كما قال الرب» . واضيف بأن مانقله القرآن بهذا الشأن هو من باب الحكاية دون الوقوف امام ماتضمنه امر

---

(٢٣) المائدة : ٢٠ ـ(٢٤) «الجامع لاحكام القرآن» للقرطبي جـ ٦ ص ١٢٥ .

القتال من خطأ او صواب ، ونضرب مثلا مشابها لذلك قول ملكة سبأ لقومها حين تلقت رسالة الملك سليمان : «**قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون**»(٢٥) ومن المعلوم ان هذا القول لاينطبق على جميع الملوك كسليمان وداوود وسواهما من الملوك الصالحين .

وهنا لابد من الاشارة الى ماورد في القرآن الكريم من آيات تتحدث عن وراثة بني اسرائيل الارض فقد قال تعالى بلسان موسى «**وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**»(٢٦) ، اي ان موسى امر بني اسرائيل بالرجوع الى الله والصبر على اذى فرعون الذي كان يقتل ابناءهم ويستحي نساءهم لان المنجمين اخبروا ان مولودا منهم سيكون ذهاب ملكه على يديه وكأن هذه الآية تلوح لبني اسرائيل بقرب الخلاص من ظلم فرعون وانهم يرثون الملك من بعده اذا هم استقاموا .

وقال تعالى : ﴿**واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ماشرق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وماكنوا يعرشون .**﴾(٢٧) .

---

(٢٥) النمل ٣٤ .

(٢٦) الاعراف ١٢٨ .

(٢٧) الاعراف ١٣٧ .

ان الآية تتحدث عن بني اسرائيل ، يقول الكسائي والفراء : ان الاصل في مشارق الارض ومغربها (في) ثم حذفت فنصب والظاهر انهم ورثوا ارض القبط وقال بعضهم : الارض التى باركنا فيها انها مصر والشام فالارض مخصوصة قال ذلك الحسن وقتادة وغيرهما وقيل : اراد جميع الارض لان من بني اسرائيل داوود وسليمان وقد ملكا الارض[٢٨] .

وجاء في الجامع لاحكام القرآن للقرطبي[٢٩] في تفسير قوله تعالى : ﴿**كذلك واورثناها بني اسرائيل**﴾[*] ماله الحسن وغيره «رجع بنو اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون «وقيل اراد بالوراثة هنا ما استعاره بنو اسرائيل من حلي آل فرعون» وقد علق القرطبي على ذلك بقوله : وكلا الامرين حصل والحمد لله كذلك جاء في «مدارك التنزيل» «وحقائق التأويل» للامام النسفي[٣٠] في تفسير هذه الآية عن الحسن قوله : «لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم» كما جاء في «جامع البيان» عن تأويل آي القرآن «للطبري[٣١] في تفسيرها «وهكذا اخرجناهم مما وصفنا

---

(٢٨) القرطبي جـ ٧ ص ٢٧٢ .

* سورة الشعراء آية ٥٩ .

(٢٩) القرطبي جـ ١٢ ص ١٠٥ .

(٣٠) النسفي جـ ٣ ص ١٤٢ - المكتبة الحسينية بمصر سنة ١٣٤٤ هـ .

(٣١) الطبري تحقيق الشيخ صابوني والدكتور رضا (دار القرآن الكريم) بيروت جـ ٢ ص ١٢٣ طبعة ١٩٨٣م .

واورثنا تلك الجنات بهلاكهم بني اسرائيل واضيف الى ذلك بان الله سبحانه تحدث في هذه الايات بصيغة الماضي في سياق سرد قصة موسى وبني اسرائيل مع فرعون حيث وصف ماكان من امر موسى مع فرعون وكيف حشد فرعون جنده لمطاردة بني اسرائيل الذين خرجوا ليلا من مصر فقال سبحانه : **«فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ، كذلك وأورثناها بني اسرائيل»**[٣٢] .

فالضمير في قوله فاخرجناهم يعود الى فرعون وجنده حيث تركوا الجنات وعيون الماء التي كانوا ينعمون بها والكنوز التي كانت في حوزتهم والمنازل الجميلة الآمنة . والعيش الكريم الهنيء ولحقوا بموسى وبني اسرائيل كما ان الضمير في اورثناها يعود الى الجنات والعيون المذكورة وقوله تعالى كذلك اي «واورثنا بني اسرائيل كما اورثنا فرعون وقومه ارض مصر واخرجنا فرعون وقومه كما اخرجنا بني اسرائيل منها ومن المعلوم ان بني اسرائيل اقاموا في مصر اربعة قرون وان تلك الاقامة بدأت في اواخر عهد الرعاة المعروفين بالهيكسوس وانتهت في عهد فرعون مصر (رعمسيس الثاني)[٣٣] .

---

(٣٢) الشعراء : ٥٧ – ٥٩ .

(٣٣) انظر (المفصل في تاريخ القدس ، لعارف باشا العارف جـ ١ ص ٦ .

الحجة التاريخية

الذريعة الثانية التى يستند اليها اليهود في مطامعهم هى الحجة التاريخية وتعني اقامة اجدادهم في فلسطين منذ ٢٦ قرنا .

فمن الثابت تاريخيا ان العبرانيين جاؤا الى فلسطين من اور الكلدانية او من حران الارامية وهم خليط من الاراميين والعمونيين والادوميين حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد واحتلوا جزءا من فلسطين الجبلية من ناحية الشرق ولما استقروا فيها اخذوا بالتوسع على حساب الكنعانيين اصحاب الارض مغتنمين فرص الحروب والغزوات التى كان يشنها الطامعون في تلك الارض من حين الى حين ، وسنبي في بحثنا هذا ان فلسطين عربية منذ القدم وان الصهاينة اعداء الله والانسانية دخلاء عليها مغتصبين لها ، لقد جاؤا اليها بدوا يلبسون الجلود ويسكنون الخيام ولما استقروا فيها واحتكوا بالكنعانيين اقتبسوا منهم قوانين حمورابي التى كان الكنعانيون يعرفونها كما تعلموا منهم الزراعة وصنع الحديد والمعادن كالنحاس والبرونز وصنع الثياب والاسلحة ، واستعملوا الثياب بدلا من الجلود ، اما المدن التى احتلوها فهى تمتد من الساحل الى الجبل وفيها جازر ويبوس «القدس» حتى مرج ابن عامر وكان ذلك في اواخر القرن الحادي عشر قبل

الميلاد ، وكانت اللغة المنتشرة في تلك البلاد اللغة الكنعانية ، ولابد لنا من ايراد لمحة موجزة عن تاريخ القدس ومن خلال هذه اللمحة الموجزة التى سنعرضها نرى ان الصهاينة تسللوا الى فلسطين في غفلة من اهلها ولكنها في كل مرة كانت تلفظهم وتطهر الارض من رجسهم ولم يستقروا فيها الا في تلك الفترة التى امتدت من عهد داوود سنة ١٠١٦ الى ٩٧٦ قبل الميلاد ثم عهد ولده سليمان من ٩٧٦ الى ٩٣٦ قبل الميلاد الى انقراض مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ قبل الميلاد اي مايقرب من سبعة قرون ونصف ثم انقطعوا عنها مايقرب من ٢٦ قرنا ، وقد بينا انهم لم يكونوا امة واحدة ولا جنسا واحدة وليس لليهود الاوائل اية صلة باليهود الجدد ، ومع ذلك فان «هرتزل» مؤسس الصهيونية يقول «فلسطين موطننا التاريخي الماثل في الذاكرة على مرور الزمن كما اعلن «بن غوريون» سنة ١٩٥٧ في الكتاب السنوي لحكومة «اسرائيل» لقد انشئت دولة اسرائيل دولة اسرائيل في بلاد قطنها المحتلون والغزاة العرب طوال ١٣٠٠ سنة) وتجاهل الغزو العبراني لارض الكنعانيين ولا نجد بهذا الصدد افضل من التذكير بالبرقية التى رفعها المسلمون والمسيحيون بتاريخ ١٢ كانون اول ١٩١٨ ، الى هيئة مؤتمر السلم العام والى وزارة الخارجية البريطانية وهذا نصها :

«البلاد بلادنا قديما وحديثا اقمنا فيها اكثر مما اقاموا

وعمرناها أكثر مما عمروها ، وان علاقاتنا التاريخية والدينية نحن المسلمين والمسيحين اكثر من اليهود جدا فادعاؤهم الحقوق التاريخية القديمة في البلاد لاتكسبهم حق الاستقلال فيها كما وانه لايكسبنا نحن العرب لذا الادعاء حق العودة الى الاندلس وطننا القديم الذي حققنا فيه مجدا عظيما بثمانية قرون كان الرقي الاوروبي في العصر الحاضر من نتائجه لان ذلك طوت امره العصور[٣٤]» .

وقد جاء في كتاب «القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني» في تعريف الحق التاريخي رأي للاستاذ محمد طلعت الغنيمي في كتابه «قضية فلسطين امام القانون الدولي»[٣٥] «الحق الذي اكتسبه نتيجة تقادم العهد بممارسته واستعماله والحق التاريخي يصبح حقا نتيجة مباشرته فعلا خلال حقبة تاريخية طويلة واستعمال الحق فعلا واستمرار ذلك الاستعمال مدة طويلة هو الذي يجعل من الحق حقا تاريخيا» يضيف الكتاب المذكور «ان القانون الدولي العام

---

(٣٤) انظر سلسلة «وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ - ١٩٢٩ بالاشتراك مع جمعية صندوق فلسطين ، بغداد ١٩٢٨ ص ٢

(٣٥) راجع كتاب (محمد طلعت الغيمي «قضية فلسطين اما القانون الدولي» طبعة ثانية منقحة ومزيده (الاسكندرية منشأ المعارف) ١٩٦٧ ص ٥٦ .

لايقبل الادعاءات القائمة على مفاهيم ذات صبغة دينية من طراز ارض الميعاد والوعد الالهي ، وشعب الله المختار وغيرها والقواعد التى يستمدها هذا القانون منذ اوائل القرن التاسع عشر ترجع مصادرها الى الاعراف والمعاهدات الدولية ولاعلاقة لها البتة بالقواعد والتعاليم الدينية اما علاقة اليهود بفلسطين فلا يمكنها الاستناد الى حجة تاريخية ودينية من هذا النوع بل تنطبق عليها الاحكام التى يقرها القانون الدولي من حيث فقدان الاقليم من الناحيتين التاليتين :

١ - الترك او التخلي ، عن الاقليم بقصد الانسحاب منه والتنازل عن السيادة عليه .

٢ - التقادم المسقط «اذا وضعت دولة يدها على اقليم دولة اخرى واستمر ذلك فترة طويلة يسقط عن الدولة التى كان لها الاقليم الحق فيه .

يضيف كتاب القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني في الصفحة ١٧٢ قوله : «ولا يحق للصهيونية ان تدعي السيادة على اقليم انقطع وضع اليد عليه هذه الفترة الطويلة فالادعاء التاريخي باطل بفعل تقادم العهد وبسبب وجود حقوق مكتسبة لقومية اخرى في فلسطين وليس ماتدعوه الصهيونية الحق التاريخي لليهود في فلسطين سوى صيغة مشابهة لمسألة الحق الالهي التي قضت عليها الثورة الفرنسية ونبذتها مفاهيم القرن الثاني عشر ، ومن الواضح ان اجداد اليهود الغابرين لم

يكسبوا يهود العالم المعاصرين حقوقا تاريخية بمجرد سكناهم في فلسطين قبل ٢٦ قرنا من الزمن فقد انقطع هؤلاء عن البلد وسقطت حقوقهم فيه وليس من المؤكد اطلاقا ان جميع اليهود المنتشرين في جميع انحاء العالم يؤلفون عرقا واحدا او ينحدرون من اصل واحد بل العكس هو الصحيح ، ومن الصعب اقامة صلات تاريخية سليمة بين العبرانيين القدماء واليهود المحدثين فالقدماء تخلوا عن فلسطين وهاجر معظمهم منها قبل ان يقضي الرومان على بقايا الكيان اليهودي فيها اي ان الشتات (الدياسبورا) يرجع الى ماقبل النفي والطرد من فلسطين ، وقد اتيح لاولئك اليهود الذين سباهم «البابليون» ان يعودوا من منفاهم وكان لهم ماارادوا[٣٦] واري بالنسبة لوضع اليد والحق المكتسب ان هذا صحيح مع الفارق في هذه القضية فوضع اليد على ارض مملوكة اصحابها على قيد الحياة لايلغي حقوقهم الثابتة فيها مهما طال الزمن ولايعني ان واضع اليد بهذه الصفة صفة الاغتصاب - يكتسب اي حقوق - ففلسطين كما هو ثابت تاريخيا وتوراتيا هي ملك خالص للكنعانيين العرب الفلسطينيين وعلى هذا فانه لابد من القاء نظرة موجزة على تاريخ القدس لنرى من خلال هذا الواقع التاريخي حق الفلسطينيين الطبيعي وباطل الصهاينة المزيف .

---

(٣٦) المصدر نفسه ، بتصرف .



الفصـــل الثاني
تاريخ القدس

تاريخ القدس

ان تاريخ القدس يعود الى ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد وكان اسمها في تلك الفترة «يبوس» نسبة الى اليبوسيين بناتها الاول واول من وضع لبنة فيها وهم من بطون العرب الاوائل الذين نزحوا اليها من الجزيرة العربية مع من نزح من القبائل الكنعانية ، فمنهم من حط رحله فيها فدعيت باسمهم «ارض كنعان ومنهم من حط رحله ما بين النهرين وهم البابليون فسميت البقعة التى نزلوا فيها «بابل» .

انهم كما قلنا ، اول من بنى القدس والمدن الفلسطينية كشكيم «نابلس» ، وبيت شاف «بيسان» وبيت ايل «بنين» واشقلون «عسقلان» وجيزر «تل الجزر» ، وسواها من المدن المعروفة والقائمة حتى الآن .

يقول بعض المؤرخين ان الذي انشأ القدس وبناها هو احد ملوك اليبوسيين «مليك صادق» اي ملك السلام وانها دمرت على ايدي الغازين والفاتحين ثماني عشرة مرة تدميرا كاملا ثم اعيد بناؤها .

كان اليبوسيون الذين يطلق عليهم اسم الكنعانيين ايضا ماهرين في فن البناء ولذلك اقاموا المدن وحصنوها وبنوا من حولها الاسوار ، كما كانوا مهرة في الزراعة فزرعوا تلك الارض زيتونا وعنبا واثمارا وبالاضافة الى ذلك كانوا يجيدون

الصناعة فمهروا في صناعة الفخار والنسيج وكانت لهم كتب ومؤلفات في عدد من العلوم والفنون ، وكانوا يعبدون الاصنام ومن اصنامهم «بعل» ومعناه الرب السيد .

من ملوك اليبوسيين «سالم اليبوسي» الذي زاد في مباني القدس وشيد على الاكمه الجنوبية المعروفة في ايامنا بـ «جبل صهيون» برجا عظيما بهدف الدفاع عن المدينة واصبحت تعرف بعد ذلك باسمها الكنعاني «اوروبسالم» اي مدينة السلام وكان الكنعانيون متحدين وقد صدوا عدة غارات مصرية وعبرية وبخاصة العبرانيين الذين ارادوا اجتياح بلادهم فقاوموهم زمنا طويلا وكانت مدينة يبوس ذات اهمية تجارية لكون طرقها تربط البحر بالصحراء وحبرون «الخليل» ببيت ايل «بنين» في رام الله كما كانت ذات اهمية حربية لكونها تقع على تلال مرتفعة ومسورة بسور منيع وكان لملكها جيش وبينه وبين الملوك المجاورين علاقات حميمة واحلاف متينة .

من الثابت تاريخيا ان العبرانيين جاءوا الى فلسطين من اور الكلدانية او من حران الأرامية بين سنة ١٤٠٠ و ١٢٠٠ قبل الميلاد وهم خليط من الارامين والعمونيين والادوميين واحتلوا جزءا من فلسطين الجبلية اما المدن التي احتلوها فهي تمتد من الساحل الى الجبل وفيها جازر ويبوس حتى مرج ابن عامر وكان ذلك في اواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد

وكانت اللغة المنتشرة في المدن الكنعانية هى اللغة الكنعانية ثم انضمت اليها اللغة البابلية عندما اجتاحها البابليون واصبحت الاخيرة لغة البلاد الرسمية وبقيت الكنعانية لغة التخاطب الشعبية .

القدس والفراعنة

لم يكن تاريخ الفراعنة في القدس جليا واضحا سوى ماجاء في بعض الالواح القديمة فقد عثر المنقبون في «تل العمارنه» على رسالة كان قد أرسلها احد رجال السلطة المحلية في «يبوس» واسمه (عبد حبيا) الى فرعون مصر «تحوتموس الاول» سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد وقد ابدى فيها خضوعه له لقاء حمايته من غارات العبرانيين فجاء هذا لنصرته واكتسح البلاد واصبحت فلسطين خاضعة لحكم مصر .

كما يفهم من الواح تل العمارنه ان فرعون مصر (تحوتموس الثالث) وطد الحكم المصري في هذه البلاد وكذلك عثر على رسائل اخرى (من يبوس) كلها بهذا المعنى تطلب من الفراعنة الحماية ، وان يبوس لم تكن وحدها خاضعة لحكمهم بل جميع المدن الكنعانية وكذلك سوريا وفينيقية وكانت كلها تدفع الجزية للمصرين الذين اتخذوا يبوس مركزا لهم ينطلقون منه الى البلاد المجاورة ، وكان له

فيها ثكنة كبيرة وجيش كبير وموظفون وجباة وقد جاء في تلك الالواح المكتشفة التى كتبت في عهد (اخناتون) ذكر (ليا بيشي) اي القدس كما كان يسميها الفراعنة حسب قول المؤرخ عارف باشا العارف في حين ذهب غيره الى ان هذا الاسم (ليابش جلعاد المعروف حديثا بالدير في وادي اليابس منطقة عجلون (شرقي الاردن) ، كما يرى المؤرخ (سيلاه ميرل) ان هذا الاسم لخرائب مريامين .

وجاء في هذه الالواح ايضا ان حاكم يبوس استغاث بفرعون مصر وان القائد الصمري الذي جاء لنجدته لم يستطع اخماد الثورات التي نشبت فيها فطلب النجدة من فرعون مجددا ولكن هذا لم يلب طلبه فقتل هو وخادمه ، كما يذكر التاريخ ان بني اسرائيل اقاموا في مصر اربعة قرون وان اقامتهم انتهت في عهد رعمسيس الثاني كما ان موسى عليه السلام ولد في عهده وهو فرعون مصر الذي قص علينا القرآن الكريم اخباره وماحدث بينه وبين موسى وبنى اسرائيل .

ولما توفي رعمسيس الثاني خلفه ابنه (مرن بتاح) وفي زمنه خرج بنو اسرائيل من مصر عن طريق البحر الاحمر وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿**وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ، الآن وقد عصيت قبل وكنت**

المفسدين﴾[1] .

وفي عهد ولدى سليمان رحبعام ويربعام استغل شيشاق فرعون مصر الخلاف والقتال الناشب بينهما على الملك فزحف على اورشليم فانتزعها من رحبعام ونهب خزائن الهيكل واستولى على موجودات القصور الملكية ثم عاد الى مصر بعد ان نقش على هيكل «الكرنك» صورته واسماء المدن التى افتتحها ومنها اورشليم ، والملوك الذين اخضعهم ومنهم رحبعام بن سليمان الذي صوره بشكل اسير مكتوف اليدين وفي عنقه حبل . وقد فقد اليهود استقلالهم بعد ذلك التاريخ وعاشوا خاضعين للاقوياء من الغزاة والفاتحين .

وفي عهد «يوآحاز» الذي اشتهر بارتكاب المعاصي والمنكرات غزاه فرعون مصر سنة ٦١٠ قبل الميلاد . وغرم المدينة مئة قنطار من الفضة وقنطارا من الذهب وبعد ان اقام اخاه (اليا قيم) ملكا على اورشليم اخذه مكتوفا الى مصر ومات فيها .

وغزا فرعون مصر (باما تيخوس الثاني) فلسطين عام ٩٥٠ قبل الميلاد . فتحالف مع سكانها وسكان البلاد المجاورة لها من اجل القيام بثورة عامة ضد البابليين ولكن الغلبة كانت للبابليين فاخضع (نبوخذ نصر) القدس لحكمه سنة ٥٨٦ قبل الميلاد . وكانت فلسطين في هذه العهود مليئة بالغابات

(١) سورة يونس : ٩٠ ٩١ .

الكثيفة حيث كان المصريون يأخذون منها الاخشاب اللازمة للصناعة . وكما كانوا لايتدخلون في عادات اهل البلاد وتقاليدهم ولابشؤونهم الاجتماعية بل يكتفون بالجزية وان السيادة المصرية على تلك البلاد استمرت مئتي عام.. _

القدس وبنو اسرائيل
١٠٤٩ قبل الميلاد

خرج بنو اسرائيل من مصر في عهد فرعون رعمسيس الثاني ١٢٥٠ قبل الميلاد . فاجتازوا بقيادة موسى صحراء سينا التى تاهوا فيها اربعين عاما وحاولوا بعد ذلك دخول القدس فلسطين من الناحية الجنوبية فصدهم اهلها العمالقة ويؤيد القرآن الكريم في قوله تعالى : **﴿قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون﴾**[*] ، وقد توفي موسى قبل ان يدخلوها فقادهم يوشع بن نون وعبر بهم الاردن ١١٨٩ قبل الميلاد واحتل اريحاء وقتل من وجده فيها من شيوخ واطفال ونساء وفقا لتعاليم «يهوه» في التوراه (انظر سفر يشوع الاصحاح السادس عدد : ٢١ – ٢٥) وكذلك فعل في بقية المدن

* سورة المائدة آية ٢٢ .

كعاي «خربة الحيان» والجلجال «تليلة الجلجولة» وشيلوح[٢] ولكنه لم يتمكن من احتلال «يبوس» المحصنة تحصينا تاما غير انهم استطاعوا احتلالها بعد وفاة يشوع بقيادة يهوذا وقتلوا من سكانها عشرة الاف رجل واشعلوا في بيوتها النار ولكنهم لم يتمكنوا من البقاء فيها طويلا حيث اجلاهم الكنعانيون عنها واستمروا يردون غارات اليهود عدة قرون .

وهكذا نرى ان مايزعمه الصهاينة من انهم اقدم عهدا من العرب في فلسطين يكذبه الواقع كما تكذبه التوراة وكذلك الموسوعة البريطانية مجلد ١٣ ص ٤٤ التى تقول : «ان بني اسرائيل حينما دخلوا تلك البلاد وجدوا فيها اقواما وشعوبا من بني عناق وبني كلاب من ابناء الجزيرة العربية » .

وليس غريبا بعد تهافت الحجتين الدينية والتاريخية وماتبعهما من حجج الامر الواقع والقانونية والانسانية والانشائية ان تلجأ الصهيونية الى غير الاسلوب الذي اتبعه «هرتزل» حيث اعتمد خطة العمل من اعلى الى اسفل بغية الحصول على براءة سلطانية من الحكومة العثمانية في حينه وقد عمل بهذه الخطة قرابة عشرين عاما منذ تاسيس الحركة الصهيونية الى صدور تصريح بلفور ١٩١٧ وقد تحدث هرتزل في خطابه الافتتاحي عن ضرورة توفير الاساس

(٢) تقع على مسافة ميل واحد من ترمسيليا الى الشمال الغربي .

الحقوقي او القانوني للدولة الصهيونية في فلسطين .

وهذا الاسلوب المغاير لخطة «هرتزل» اكده احد زعماء اتحاد العمل الصهيوني الروسي مناحيم بوسشكين سنة ١٩٠٣ حيث قال : «حين نكون قد اوجدنا في فلسطين نواة يهودية معافاة لن نفشل في الحصول على البراءة بل سنحصل عليها بالعمل من داخل فلسطين الى خارجها» . كما قال : «احاد عاهام» داعية الصهاينة الروحي والثقافي «ان خلاص اسرائيل لن يأتي عن طريق الدبلوماسيين وما من دولة تبنى على اساس البراءة لانها ليست سوى السقف او السطح الذي يستظله الكائن العضوي السياسي وارساء قواعدها واسسها يجب ان تتم «بطريق الاستيطان التدريجي البطيء» . وبعد وفاة هرتزل ارتفع صوت الصهاينة بالحق القائم على المنجزات والانشاءات التى يمكن تحقيقها باتباع سياسة التغلغل الاقتصادي» .

وهكذا نرى ان الصهاينة سعوا للحصول على براءة سلطانية لعدوانهم على فلسطين ولايزالون يسعون حتى الآن للحصول على هذه البراءة من مختلف الشعوب والامم ولكنهم لن يحصلوا عليها بعد تهافت حججهم لان العدوان هو العدوان في نظر كل الامم والشعوب .

القدس في عهدي داوود وسليمان

كانت «يبوس» ذات حضارة كما قدمنا فاقتبس اليهود هذه الحضارة منها ومن المدن الكنعانية الاخرى التى احتلوها ، فغادروا الخيام وسكنوا في بيوت كبيوت الكنعانيين وخلعوا عنهم الجلود التى كان يلبسونها ولبسوا ثيابا منسوجة من الصوف كثياب الكنعانيين ولما أصبح داوود ملكا على بنى اسرائيل ١٠٤٩ قبل الميلاد وكان يقيم في «حبرون» اي الخليل زحف نحو «يبوس» بجيش قوامه ثلاثون الف مقاتل يقوده ابن اخته «يوآب» وقاومه اليبوسيون في بادىء الامر مقاومة عنيفة وصدوه عنها الا انه تمكن في النهاية من احتلال «تل اوفل» الكائن* في جنوبها والمطل على قرية سلوان (ملاصقة لسور القدس من الجنوب» اصبحت «عين روجل» المعروفة اليوم بعين الدرج في يده وكانت هذه نبع الماء الوحيد الذي يسقى اليبوسيين فحينئذ اسقطت يبوس بيد داوود ١٠٤٩ قبل الميلاد واتخذها عاصمة له ، وعندما قام داوود باحصاء سكان القدس ثار عليه قومه وقالوا : «الله الذي خلقنا يعرفنا فلماذا احصيتنا ؟» وصادف ان حل وباء عظيم فتك بهم فاعتبروا الاحصاء سببا لغضب الله عليهم واصابتهم بالطاعون واخذوا ينفضون عن داوود بتحريض من ولده «ابشالوم» ، وشعر هو بذلك فاظهر الندم واحب ان

يكفر عن خطيئته فاشترى من احد اليبوسيين ارضه الكائنه على جبل موريا[٣] وشرع في بناء هيكل لم يتمه .

وحدث ان اقتتل ولداه ابشالوم وامنون ـ وقتل ابشالوم اخاه لانه تزوج شقيقته «تمارا» وهرب ابشالوم وظل هاربا ثلاثة اعوام ثم عاد الى اورشليم بعد ان عفا عنه والده وكان الطمع متأصلا في نفسه للاستيلاء على ملك والده ، فحرك الفتنة ضده واستجاب له قسم كبير من الشعب فهرب داوود والتفت الى اورشليم من جبل الزيتون وهو يبكي وتبعه انصاره واعوانه بالبكاء وظل هاربا الى ان عبر الاردن واحتمى بالعمونيين .

ولما مات ابشالوم وهدأت الفتنة عاد داوود الى اورشاليم وعادت الحروب والمناوشات بينه وبين الفلسطينيين فاستغل ولده (آدونيا) الفرصة وتآمر على والده لخلعه على ان يعلن هو ملكا لبني اسرائيل ولكن داوود علم بالمؤآمرة فاحبطها بمساعدة ولده سليمان ، .

وبعد وفاة داوود اعلن سليمان ملكا وقد اتسعت القدس في عهده وازدهرت فبنى الدور والقصور واتم بناء الهيكل بعد ان طلب من «حيرام» ملك صور وصديق والده كمية من

---

(٣) البقعة التي يقوم عليها الآن الحرم القدسي . والظاهر ان غضبهم على داوود لاحصائهم له أساس في شريعتهم فقد ورد في سفر الخروج الاصحاح الثلاثين : ١١ – ١٢ «لئلا يصير فيهم وباء عندما تعدهم» .

خشب الارز وقد اضطر سليمان لزيادة الضرائب على الشعب حيث بنى لنفسه قصرا واعاد تجديد السور حول المدينة وليكون مركزه قويا صاهر فرعون مصر فتزوج ابنته ليأمن شره . ومن اثاره البناء الكائن تحت المسجد الاقصى وبرك سليمان الواقعة الى الجنوب من بيت لحم .

ثم مات سليمان ٩٧٥ قبل الميلاد فتولى الملك ابنه «رحبعام» (وهو ولده من امرأته العمونيه فاقتتل مع اخيه (يربعام) وهو ابن سليمان من امرأته المصرية وكانت نتيجة هذا القتال انقسام المملكة الى شطرين : «يهوذا» وعاصمتها «اورشليم» . واسرائيل وعاصمتها «شكيم» اي نابلس ، واستغل «شيشاق» فرعون مصر هذه الفرصة فزحف على القدس واحتلها ونهب خزائنها ثم عاد الى مصر ، واستمرت الحرب قائمة بين الاخوين وبين رحبعام ومصر ، ودام اليهود في اورشليم اربعة قرون وخلال هذا الزمن كانت تحدث ثورات ومؤآمرات وشغب وقتال ضدهم من قبل الشعب الكنعاني الاصيل ، اما الملوك الذين تعاقبوا على الحكم في هذه الفترة فهم آبيّا بن رحبعام ، وآسا ، ويهوشافاط ، ويهورام ، واخازيا ، ويهوشع ، وامصيا وعُزَيّا ويوثام ، وآحاز ، ثم جاء حزقيا وفي عهده غزا الاشوريون اورشليم وكان قد حصنها تحصيناً قوياً وجر الماء اليها فحاصرها الاشوريين ولكنهم فشلوا ثم جاء ابن حزقيا «منسّى» ثم آمون

ويوشيا الذي قتله فرعون مصر (نيخو) وكذلك ولده يهوآحاز الذي عزله نيخو وغرم شعبه واقام مقامه اخاه يهويا قيم ملكا ثم ولد يهوياكين وفي عهد هذا الاخير غزا الكلدانيون اورشليم فافتتحها «نبوخذ نصر» وسبى جميع من فيها وارسلهم الى بابل حتى الملك نفسه واقام «نبوخذ نصر» على كرسي الملك عمه صدقيا فخضع له هذا في بادىء الامر ثم حاول ان يتملص من سلطته فحصن السور وبنى الابراج الا انه فشل فاسره نبوخذ وفقأ عينيه وارسله الى بابل .

القدس والاشوريون

بعدما ضعفت شوكة اليهود بانقسام الاسباط الى مملكتين يهوذا واسرائيل وتنازع رحبعام ويربعام على الملك والسيطرة تولى احاز بن يوثام قيادة اليهود في مملكة اسرائيل وتناحرت المملكتان وكان النصر لمملكة اسرائيل وهزمت يهوذا في الجنوب وكان الجيش السوري حليف المنتصرين في الشمال فالتجأ احاز الى الاشوريين واستنجد بهم فلبوا طلبه لانهم كانوا ينتظرون هذه الفرصة لغزو فلسطين ومصر وليبيا والحبشة والبلاد الواقعة في حوض البحر الابيض والبحر الاحمر ، وانتصر الاشوريون بقيادة ملكهم (بتغلات بلازر)

على مملكة اسرائيل واحتل عاصمتها (السامره) فانقرضت مملكة اسرائيل وفي قول آخر ورد في تاريخ القدس الشريف لسركيس (ص ١٩) ان شلمنصر ملك الاشوريين غزا القدس سنة ٧٣٠ قبل الميلاد وسبى سكانها وانه عاد فحاربهم سنة ٧٢١ قبل الميلاد غير انه لم يتمكن من تثبيت اقدام جيشه في القدس فبقى القسم الجنوبي من فلسطين تحت حكم الفراعنة وتمكن اليهود من دفع غارات الاشوريين لمصادفة ان العرب والعمونيين والفينيقيين كانوا يعملون في الوقت نفسه لصد غارات الاشوريين غير ان (سنحاريب) حين تولى عرش اشور عزم ان يحتل فلسطين كلها شمالا وجنوبا فارسل جيشه اليها وحاصر القدس وراح يدك اسوارها بالمنجنيقات ولكن مشاريع حزقيا الذى تولى الملك بعد ابيه احاز والذي جر الماء الى المدينة وانشأ الاسوار حولها والخطب الحماسية التى كان يلقيها اشعيا ليحرض الجماهير على مقاومة الاشوريين ماكانت لتنقذ اليهود من الاشوريين غير ان الطاعون الذي ضرب الاشوريين الآتي اليهم من مستنقعات دلتا النيل هو الذي انقذهم فانكفأ الاشوريون بعد ان فقدوا من رجالهم في هذه الحملة مئة وخمسة وثمانين الفا .

ثم ان الاشوريين عادوا الى القدس مرة ثانية فاحتلوها واعتقلوا الملك «منسى» الذي تولى الملك بعد ابيه حزقيا فارسلوه الى بابل مكبلا بالاغلال ولكنهم عادوا فاطلقوا

سراحه فبنى سور القدس مرة ثانية ولم يدم حكم الاشوريين طويلا فتخلوا عن هذه البلاد الى البابليين .

القدس والبابليون

غزا البابليون القدس وتنازعوا هم والمصريون على سيادتها ، وكان على سكان اورشليم ان يختاروا احد الفريقين وكان على رأس الحكم في القدس «يهوياقيم» فخضع هذا لنوبخذ نصر وسلمه المدينة ثم تمرد عليه فأقاله واقام مقامه ابنه ثم اقاله واقام مقامة «صدقيا» الذي تعاون معه ثم انتفض عليه ، عندئذ حاصر «نبوخذنصر» اورشليم فاجاعها حتى دب في اهلها المرض وهرب اليهود من ثغرة فتحوها في سورها وكان «صدقيا» على رأس الهاربين فلحق بهم الكلدانيون وقبضوا على صدقيا ففقأ نوبخذنصر عينيه وارسله مع من قبض عليهم الى بابل وبعد ذلك نهب نبوخذنصر اورشليم ودك اسوارها ودمر الهيكل ونفى شعبها الى «بابل» بعد ان قتل منهم من قتل واستعبد من لم يقتل .

وهكذا انقرضت مملكة «يهوذا» سنة ٥٨٦ قبل الميلاد واصبحت البلاد مستعمرة بابلية تدفع الضرائب لبابل وانتشرت اللغة البابلية واصبحت لغة البلاد الرسمية حتى الفتح الفارسي واما لغة الشعب الدارجه فكانت الكنعانية .

القدس والفرس

انتصر «كورش» ملك الفرس على البابليين واخضع بابل واشور لحكمه ثم استولى على سوريا وجاء الى القدس فاحتلها سنة ٥٣٨ قبل الميلاد بقيادة «غوبرياس» وتزوج كورش من يهوديه فتنفس اليهود الصعداء وطلبت منه امرأته السماح لليهود المنفيين في بابل بالعودة الى القدس فأذن لهم بذلك وعاد فريق منهم وآثار آخرون البقاء حيث هم .

وبعد كورش جاء (ارتحشستا) فخالف رغبات اليهود ومنعهم من اتمام البناء الذي اقاموه في الهيكل ولكن خلفه (داريوس) سمح لهم بذلك .

وفي عهد داريوس كانت فلسطين ولاية من ولايات الامبراطورية الفارسية التي قسمت الى عشرين ولاية ومن ولاة الفرس الذين كان لهم شأن يذكر في فلسطين (ارتاكسركس الاول) فقد قامت في عهده ثورات في البلاد وحارب اليونانيين والمصريين فأرسل الى (عزرا) الذي سيم كاهنا في بابل ورجع مع من رجع من اليهود الى القدس وعين (نحاميا) حاكما على القدس واقام عليها اثنى عشر عاما . وظلت القدس تابعة لملوك الفرس حتى احتلها الاسكندر المقدوني الكبير سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وكان للفرس عودة ثانية الى القدس في عهد كسرى الثاني ابن هرمز الرابع على يد قائده

(شهر بازار) الذي فتحها سنة ٦١٤م وان هذا ماذكرته الموسوعة البريطانية ولكن تاريخ القدس الشريف لسركيس يقول في الصفحة ١٥٧ ، ان غزوة القدس هذه تمت سنة ٥٩١م في عهد برويز بن كسرى يوم ارسل مرزبانه (خسرويه) الى القدس فاحتلها وخرب كنائسها ونهبها وقتل من المسيحيين عددا كبيرا يبلغ السبعين الفا وكان معهم ستة وعشرين الف يهودي انضموا اليهم من طبريا والناصره والجيل وكانوا يحرضونهم على قتل المسيحيين ويشاركونهم في الهدم والتدمير فاحرقوا كنيسة القيامة والكنائس الاخرى الموجودة في القدس ثم غزا الفرس القدس مرة ثالثة في عهد الدولة الفاطمية حوالي سنة ١٠٧٧م ، حيث ارسل شاه الفرس قائدا من قواده الى الولايات السورية فاكتفى هذا بدخولها ونهبها ثم عاد الى بلاده .

القدس واليونانيون

انتزع الفاتح المقدوني الكبير (الاسكندر) القدس من الفرس بعد ان قضى على امبراطوريتهم الواسعة سنة ٣٣٢ قبل الميلاد . وكان ذلك في عهد ملك الفرس (دارا) وقد تم ذلك صلحا وفقا لما قاله المؤرخ اليهودي (يوسيفوس) وقد منح

الاسكندر اليهود الحرية وسمح لهم بأن يحكموا انفسهم حكما ذاتيا وبأن يدفعوا الجزية مرة في كل سبع سنين وفي عهده سكت النقود وقد نقش عليها اورشليم المقدسة ، خلاص صهيون عصا هارون ونقش عليها من الخلف بالعبرية : شاقل اسرائيل ، نصف شاقل ، ربع شاقل .

وبعد وفاة الاسكندر اقتسم ملكه قواده الاربعة وكانت القدس من نصيب احدهم «بطليموس» الذي حكم اليهود رغم انوفهم وقاوموه ولم يفلحوا ، وقد حاصر القدس فامتنعت عليه ولكنه علم ان اليهود لايعملون يوم السبت فهاجمها يوم سبت وفتحها .

عامل بطليموس اليهود معاملة قاسية واخذ منهم مئة الف اسير الى مصر ، واثقل كواهلهم بالضرائب ، ثم ان السلوقيين حفدة الاسكندر تغلبوا على البطالسة وصارت القدس من املاكهم يوم ان احتلها انطيوخس ابيفانوس سنة ١٦٨ قبل الميلاد فهدم اسوار القدس ودك حصونها ونهب هيكلها وقتل من اليهود ثمانين الفا في ثلاثة ايام ، وجاء بجنود من اليونان لحماية المدينة واقام لهم حصنا على التل المشرف عليها وكان مساعده في كل اعماله (منلاوس) رئيس احبار اليهود الذي خان قومه وحصل على مركزه لدى الحاكم الجديد بالنفاق والخيانة . وقد عامل «انطيوخوس» اليهود معاملة سيئة فذبح على هيكلهم الخنازير ونصب فوقه التماثيل ثم هدمه .

وبعد وفاة انطيوخس الرابع تولى الحكم ابنه انطيوخوس الخامس ولقبه «اوباتور» اي الشريف ابا ودام ملكه مدة سنتين ، وكان صغير السن يوم توليه الحكم فكان الوصي عليه «ليسياس» الذي نصبه ابوه قبل موته فسالم هذا الاخير سكان البلاد وسمح لليهود بمباشرة عبادتهم وطقوسهم الدينية شرط ان يخلصوا للدولة والملك وكان هذا في بادىء الامر الا ان ليسياس كان يتمنى في اعماقه مجيء اليوم الذي يستطيع فيه تنفيذ وصية انطيوخوس ايفانوس فيبيد اليهود من الوجود فحرض سكان يافا فتآمر هؤلاء على اليهود ونقلوهم في مراكب نساء واطفالا ورجالا واغرقوهم في البحر وقامت بين اليهود واليونايين معارك كثيرة فحاصر جيش انطيوخوس الخامس اورشليم فهدم سورها وكاد يستولى على القدس للفتك باليهود لولا نشوب الثورة في سوريا وانتصار خصمه (ديمتريوس الاول الملقب بـ (سويتر) فرفع الحصار وتنفست اورشليم الصعداء .

عند انتصار ديمتريوس على خصمه اقام على اورشليم حاكما اداريا اسمه (بكيديس) وقلد (الكيمس) رئاسة الاحبار وهو يهودي من بني هارون لاتحق له الرئاسة وكان اسمه (يواقيم) ثم استبدله باسم (الكيمس) تشبها بالاسماء اليونانية وتزلفا الى الملك ووضع تحت امرة الاثنين جيشا كبيرا ليحكما به البلاد ، وعندما رأى الحاكم الاداري بكيديس ان

اليهود قوم مشاغبون وان المسالة لاتنجح معهم استعمل القوة والبطش فقبض على ستين رجلا وقتلهم في وم واحد ثم قبض على آخرين وذبحهم وقامت بعد ذلك معارك كثيرة بين اليهود انفسهم انصار الكيمس من جهة والمكابيين من جهة اخرى .

ثم جرى قتال من اجل الحكم بين ديمتريوس ومنافسه اسكندر بن انطيوخوس (ايفانوس) كان النصر فيه حليف الاسكندر سنة ١٥٠ قبل الميلاد فاستغل اليهود هذا النزاع وراحوا يعرضون خدماتهم على من يؤمن لهم مصالحهم ، فاعترف الاسكندر بيوناتان الذي قاد المكابيين بعد مقتل اخيه يهوذا رئيسا للاحبار اما ديمتريوس فقد وعد سكان اورشليم باعفائهم من الجزية وبأن تكون اورشليم مقدسة وحره هى وتخومها كما وعدهم باطلاق سراح المعتقلين وبالعفو عن المجرمين وان يتساهل معهم في كل الامور ومن خلال هذا التنافس كان المكابيون يظهرون تارة ويختفون اخرى لوجود خلاف بينهم وفي سنة ٧٠ قبل الميلاد انتزع اريسطوبولس الملك عنوة من اخيه هركانوس الثاني فقامت بينهما حرب اهلية وراح كل منهما يستنجد بدولة مجاورة ، فاستنجد هركانوس «بالحارث» ملك العرب الذي امده بجيش قوامه خمسون الف مقاتل وكاد يتغلب على اخيه اريسطو ويحتل القدس لولا جيش روما الذي استنجد به اريسطو والذي يقوده

«بومبي» وكان النصر حليف اريسطو حيث دخل بومبي القدس ظافرا سنة ٦٣ قبل الميلاد وبهذا تم القضاء على الحكم اليوناني وعلى الغطرسة المكابية .

القدس والرومان
قبل المسيح وبعده

قلنا ان «بومبي» استولى على القدس بعد حصار دام ثلاثة اشهر ضربت القدس خلاله بالمنجنيق وهدم الجسر الذي يربط منطقة الهيكل بحارة صهيون وثقبت اسوار القدس وعندما دخل الرومان الهيكل استباحوه واعملوا في سكانه السيف ودخل بومبي قدس الاقداس مما اعتبره اليهود تدنيسا لهيكلهم وكان ذلك يوم سبت كما قدرنا وبعد استتباب الامن غادر بومبي القدس بعد ان اقام (اسكارس) حاكما عليها يحكم باسم روما وجميع البلاد السورية من الفرات الى تخوم مصر وتشدد هذا في حكمه فالغى المجمع اليهودي العام وهدم الاسوار وقضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاما ففرض عليهم ان يقدموا كل يوم ذبيحة تكريما للقيصر . واسر (اريسطو الذي استنجد به) اسره هو واولاده وارسلهم الى روما مقيدين بالاغلال ليشهدوا استعراض جيشه في

احتفال النصر وعندما مات بومبي استولى على العرش يوليوس قيصر سنة ٤٩ قبل الميلاد فتنفس اليهود الصعداء لان يوليوس كان معروفا بميله اليهم فولى (انتيباتر)[٤] الحكم وجعله واليا منتدبا من قبل روما لادارة البلاد واقام من تحته (هركانوس) الحشموني حاكما على القدس وكان النفوذ المكابي القديم قد ضعف وسلطة الحشمويين قد تضاءلت امام سلطة (انتيابتر) الادومي .

ولما مات انتيابتر تسلم زمام الادارة في القدس ابنه (فصايل) وكان اخوه هيريدوس[٥] واليا في الخليل فراح الحشمونيون بقيادة (هركانوس) والآدميون بقيادة فصايل يقتتلون بشوارع القدس وكانت الغلبة للحشمونيين وهرب هيرودس الى روما وكان يوليوس قيصر قد مات .

وعندما نصب هيرودس ملكا على فلسطين لقب بملك اليهود واستقلت فلسطين في عهده استقلالا داخليا ولكن الكلمة الاولى والسيادة كانت لروما ، وكان هيرودس رجل حرب وكفاح وقد حاول التوفيق بين اليهود والرومان فلم يوفق فانحاز الى الرومان ضد بني قومه ، ولما رأى ان الشعب اصبح يكرهه قام بتجديد بناء الهيكل وبناء القلعة الكائنة بباب

---

(٤) يهودي آدومي الاصل روماني الجنسية .

(٥) هيرودس كلمة يونانية معناها زوجة المشترى ، اصله آدومي اعتنق الديانة اليهودية ثم التجأ الى الرومان فنصبوه ملكا على فلسطين .

الخليل وقد بنى حولها ثلاثة ابراج وشاد حصن انطونيا وفي اخر سنة من حكمه ولد السيد المسيح في بيت لحم وكان قد امر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم لذلك هربت به امه بصحبة يوسف النجار الى مصر خشية ان يبطش به هيرودس وفي السنة التالية مات هيرودس بعد ان حكم اربعين عاما .

ومن اعماله ان القدس وما حولها من البلدان اصيبت بوباء وبقحط شديد فجاع الناس ومات الكثيرون فسك هيرودس ماعنده من الذهب والفضة وارسله الى مصر وابتاع به تسعين الفا من الحنطة وزعها على المحتاجين واعطى الفلاحين قسما منها ليستعملوه بذارا على ان يردوه اليه بمقدار ما اخذوا ، واوجد للعمال عملا حتى لايجوعوا .

واقام الرومان مكان هيرودس ابنه «ارشيلاوس» سنة ٤ قبل الميلاد الى ٦ بعد الميلاد ولكن هذا عجز عن ادارة البلاد فقامت فيها ولاسيما في اورشليم ثورات وحروب انتهت باقالته واضطر الوالي (ساببنوس)[٦] الى الاستنجاد بوالي سوريه (فاروس) وبملك العرب ارتاس (الحارث) فانجداه بالمقاتلين واستطاع اخماد الثورة وقتل من الاسرى اليهود الفي اسير وذاق اليهود على يده الذل مرة اخرى .

وفي العهد الروماني وبطلب من وفود يهودية ابقى الرومان

(٦) كان خازن اغسطوس وقد ارسله هذا الى اورشليم ليأخذ خزائن هيرودس فشبت نار الثورة في اورشليم وهو فيها فعهد اليه بمهمة حفظ السلام .

جنودهم في اورشليم والحقوا فلسطين بسورية وجعلوها ولاية تابعة لمملكتهم واتخذوا (قيسارية) عاصمة لولاتهم وراح الحكام الرومانيون يتعاقبون على الحكم نذكر منهم :

- كوبونيوس .
- مارك ايبفيوس .
- انيوس روفوس .
- فاليوس غراتوس .
- برنتيوس بلاطس .

وعلى عهد الاخير بلاطس سنة ٢٦ - ٣٦ ميلادية صلب المسيح كما يزعمون وكان على عرش روما آنذاك الملك «طباريوس اسكندر». وهو من اليهود المرتدين وكان اول عمل قام به ان قتل اثنين من زعماء اليهود لانهما حرضا قومهما على الثورة ثم جاء خلفه فنتديوس قومانوس وبعده قلوديوس فيلكس وكانت الفوضى ضاربة اطنابها في البلاد وكثرت فيها اعمال النهب والسلب وقطع الطرق فحارب الزعماء الذين هم وراء ذلك وقتل منهم اربعمائة شخص وفي عهده قامت خصومات بين الشعب اليهودي وكبار الحاخامات الذين نهبوا البيادر وجمعوا الاعشار ولم يبالوا بالفلاحين والفقراء ولو ماتوا جوعا وعوزا .

بعد فيلكس تولى الادارة فستوس سنة ٣٦٠م وكان حازما فتمكن من السيطرة على اليهود والثائرين وقد نصح نيرون

الملك باعتقال رئيس الكهنة اليهود وخازن الهيكل وعددا من الكهنة فعمل الملك بنصحه وارسلهم الى روما كرهائن فهدأت الفتنة وركن اليهود الى الهدوء طيلة وجود فستوس على رأس الحكم ولكنه مات عام ٦١م فثارت الفتن من جديد بعهد خلفه «البينوس» الذي صادق الحاخام الأكبر «حنانيا» فاختطف اليهود الثائرون ابن الحاخام فوافق البينوس على اطلاق سراح عشرة من الارهابيين المعتقلين لديه كفدية لخلاص العازر ابن الحاخام .

وتكررت حوادث الخطف كما تكرر اطلاق سراح المعتقلين وقد تم في عهده ترميم الهيكل .

وبعد البينوس تولى الادارة جيسيوس فلورس سنة ٦٥م وفي عهده حصلت حوادث شغب كثيرة واضطرابات دامية بين اليهود والسوريين من اجل قطعة ارض يملكها سوري امام الكنيست وراء اليهود ان يملكوها وطلبوا من فلورس ذلك فوعدوه برشوه الا انه رفض التدخل وتقاتل الطرفان فغلب اليهود وانسحبوا من المدينة وبدأوا يستعدون للثورة الا ان فلورس تمكن من اخماد ثورتهم وبطش بهم وقتل منهم ثلاثة الاف وستمائة رجل ولم تنجو هيروساليما من الثورات والاضطرابات بسبب كره اليهود للرومان الذين كانوا ينزلون بهم اشد العقاب وطورا يجنحون الى العفو ، ولما رأى الرومان ان هذه السياسة جعلت اليهود يطغون قرروا القضاء

عليهم قضاء تاما فاصدر «نيرون» امره الى قائده فلافيوس فجاء هذا على رأس جيش قوامه ستون الف مقاتل ولكنه رجع قبل احتلال هيروساليما لكونه علم بوفاة نيرون وكان عليه ان يرجع الى روما ليتولى العرش من بعده وتولى قيادة الجيش ولده «طيطوس» فحاصر المدينة سنة ۷۰م وشدد الخناق عليها وقتل من اهلها خلقا كثيرا وحرق جنوده الهيكل ودكت اسوار المدينة وهدمت المنازل وامتلأت الشوارع بجثث القتلى وعانى الشيوخ والاطفال والنساء من الجوع والخوف واكلوا الكلاب والجرذان والحشرات وقد قدر المؤلف اليهودي «يوسيفوس» الذي شهد المعركة عدد القتلى بمليون نسمة وعندما سقطت المدينة اسر طيطوس من اسر من اهلها وباع من باع في سوق الرقيق وخلاصة القول ان اليهود اصابهم على يد طيطوس مالم يحدث لهم مثله في التاريخ وحقت عليهم نبوءة النبي ارميا (الذين الى الموت فالى الموت والذين للسيف فالى السيف ، والذين للجوع فالى الجوع ، والذين للسبي فالى السبي) .

وقد هجرت سوليموس بعد احتلالها ولم يبق فيها سوى حاميتها الرومانية وحظر على اليهود الرجوع اليها ولكنهم عادوا الى اعمال الشغب في عهد الامبراطور تراجان سنة ۱۰٦م اذ تمكن عدد كبير منهم من الرجوع الى سوليموس بسبب ضعف الحامية ولكن الحاكم الروماني يوقيوس

كوثيوس اخمد ثورتهم وشغبهم .

ولما تولى ادريانوس عرش الرومان سنة ١١٧ الى ١٣٨م اعتزم القضاء على الشعب اليهودي الذي كان مصدرا للشغب واراد جعل المدينة مستعمرة رومانية فاقام عليها اخا زوجته (اكيلا) فحظر هذا على اليهود قراءة التوراة والاختتان واحترام السبت فثار اليهود ثورتهم المشهورة بقيادة (بارقوخيا) واستبدلت روما حكامها مرتين في عام واحد في «سوليموس» ولكن الحاكم الثاني يوليوس سيفروس احتل المدينة وقهر الثوار وذبح «بارقوخيا» وقتل من اليهود ٥٨٠ الف نسمة غير الذين ماتوا جوعا ومرضا وحرقا بالنار ومن لم يمت طرد من المدينة وتشتت اليهود بعد ذلك تحت كل كوكب ولكي ينسى اليهود سوليما دمرها ادريانوس وانشأ مكانها مدينة جديدة اسماها «ايلياكابيتولينا» وقد ترك الرومان في ايليا وغيرها كثيرا من اثار العمران كالمعابد والحصون والطرق والصهاريج والمجاري والسدود والاشجار والجسور غير ان معظم هذه الاثار اصابه التلف بسبب الثورة المكابية وغيرها وقضى على البقية الباقية منها عندما احتل الفرس ايليا سنة ٦١٤م .

وبعد المسيح قبض امبراطور الرومان مكسيمنيوس ٣٠٣م على عدد كبير من المسيحيين وقتلهم البيزنطيون بعد ان عذبوا وبعضهم احرق بالنار والبعض الآخر طرح للوحوش

البرية وكان الوثنيون يطلبون منهم بعض الاحيان الرجوع عن ديانتهم فاذا رفضوا عذبوا وكشطت جلودهم وهم احياء وكان على رأس الكرسي الاورشليمي الاسقف «ايرمون» .

وعندما مات مكسيمينوس سنة ٣١٤م تولى الامبراطور قسطنطين الامر فاوقف اضطهاد المسيحيين ونشر امرا اتاح فيه الحرية الدينية لجميع رعاياه . وكانت المملكة الرومانية منشقة الى مملكتين :

١ – المملكة الغربية وعاصمتها روما .

٢ – المملكة الشرقية وعاصمتها بيزانس .

وكانت فلسطين تحت سلطة المملكة الشرقية وكانوا يسمونها يومذاك الدولة البيزنطية ولكن الملك قسطنطين وحّد المملكتين فقد تنصر وسمح للمسيحية بالانتشار في الغرب بينما كانت مضطهدة في الشرق . وقامت بينه وبين «ليسينيوس» حروب كان النصر فيها حليفه وتم له مااراد وفتح روما فاصبح القائد الذي لاينازع للمملكة الرومانية في الشرق والغرب ، وقد وصفته (الموسوعة البرياطنية) بانه (قسطنطين الكبير) وقد عاش تسعا واربعين سنة ، وقبل موته وضع الحجر الاساسي لمدينة القسطنطينية الجديدة وكانت غايته اتخاذ الدين المسيحي الدين الرسمي لروما التي كانت تعبد الاوثان وقبل وفاته ايضا قسم المملكة بين اولاده الثلاثة

عام ٣٣٥ م .

لقد اضطهد الملك قسطنطين اليهود ففرض عليهم ان يتنصروا فتنصر فريق منهم بالفعل وفريق تظاهروا بالنصرانية وامتنع الاخرون فقتلوا والذي نجا من القتل غادر البلاد .

وفي عهده صدرت عدة قوانين لتنظيم الادارة والجيش ففصل بين سلطتيهما ولم يسمح للاداريين بالتدخل في الشؤون العسكرية كما تنصر اناس كثيرون من سكان البلاد التى كان يحكمها وكذلك من سكان فلسطين ثم تنصرت امه الملكة هيلانه التى زارت القدس وبنت فيها كنيسة القيامة وهدمت الهيكل وحطمت الاصنام التى اقامها اوريانوس .

وفي عهده كان قبر المسيح عبارة عن مغارة محفورة في الصخر (انجيل لوقا : ف٢٣ عدد ٥٠ - ٥١ وبنى ثلاث كنائس : كنيسة القيامة ، وكنيسة الجلجلة ، وكنيسة الشهادة .

ولما جاء «جوليان» الجاحد فرح اليهود اذ انه ارسل الى البطريرك رسالة الغى فيها جميع القوانين التى صدرت ضد اليهود ووعدهم بالشيء الكثير عندما يرجع من الشرق ، وامر باعادة بناء الهيكل ولكنهم ماكادوا يحفرون حتى اندلعت النار من تحت الارض فخاف العمال وتاجَل العمل ولم يتجدد .

وعندما توفي (ثيودسيوس) احد قياصرة الرومان عام

٣٩٥م اقتسم ولداه المملكة الرومانية الموحدة فجعلاها مملكتين كما قلنا آنفا .

وفي سنة ٥٢٧م توفي الملك «يوستينوس» وخلفه جوستيان وفي عهده ثار اليهود للمرة الثالثة في فلسطين فارسل اليهم قائده يوحنا فاخمد ثورتهم وشتت شملهم وقتل منهم عشرين الفا وقد انشأ يوحنا عددا كبيرا من الكنائس والاديره والصوامع في اورشليم وفيما حولها .

وهكذا توالى القياصرة على حكم فلسطين وعندما جاء الامبراطور (هرقل) زحفت جيوش كسرى غربا وبعد استيلائها على سوريا زحفت الى فلسطين وفي عام ٦١٤م احتل الفرس مدينة القدس بقيادة مرزبة خزرويه وذبحوا ٩٠٠٠٠ الف مسيحي ولم يستطع جيش هرقل الصمود في وجه الفرس الذين اقدموا على هذه الغزوه بتحريض من اليهود الذين كانوا يتشوقون الى الانتقام من المسيحيين فهدموا كنيسة القيامه كما هدموا معظم الكنائس والاديرة التي كانت في القدس ونقل بلاط هذه الكنائس ورخامها الى بلاد فارس بامر من كسرى .

ولكن هرقل عاد فجمع قواته وقطع خطوط المواصلات بين الجيش الفارسي وقاعدته وانتصر على الفرس في معركة (نينوي) سنة ٦٢٧م وعلى اثرها تصالح الفرس والرومان واعاد الفرس الغنائم التى نهبوها من القدس وعاد هرقل الى

القدس سنة ٦٢٩ م[٧] .

وفي تلك الفترة ظهر النبي العربي محمد ﷺ الذي جاء بالدين الاسلامي وكانت الدولة الرومانية في ذلك العصر من اقوى الدول وكذلك كانت دولة الفرس فدعا النبي هرقل وكسرى الى الاسلام وارسل الى كل منهما كتاباً :

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين (اي انك تتحمل اثم من اتبعك من الخدم والرعية) ﴿**ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون**﴾[٨] وكذلك ارسل مثله الى المقوقس عظيم القبط والى غيره ، وفي عهد «هرقل» حدث الاسراء والمعراج حيث اسرى بالنبي ﷺ الى بيت المقدس وظل المسلمون ذاكرين وصية نبيهم بعد موته واستمروا يعدون العدة لفتح القدس وقد تم لهم ذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في السنة الخامسة عشرة للهجرة .

---

(٧) قال محمد حسين هيكل في كتابه ابو بكر الصديق (ص ٢٠٨ ان المقصود من الآية الكريمة : (آلم غلبت الروم في ادنى الارض) هو هذه المعركة .

(٨) آل عمران : ٦٤ .



الفصل الثالث

القدس والعرب المسلمون

١٥هـ ـ ٦٣٦م

القدس والعرب المسلمون
١٥هـ - ٦٣٦م

كان العرب قبل الاسلام على اتصال تجاري بفلسطين فقد كانت قوافلهم تصل اليها من الجنوب الشرقي ومن الشرق وهي تحمل بضائعهم ثم تحمل ماعند الفلسطينيين من بضائع الى الجزيرة وكان الغسانيون العرب يقطنون المنطقة الممتدة من جنوبي شرق الاردن الى دمشق وعاصمتهم الجابيه في الجولان وكانوا على اتصال دائم بسكان فلسطين تجاريا بسبب التعامل كما ان العرب كانوا يقيمون اقامة دائمة في النقب وفي الاجزاء الجنوبية من السهل الساحلي الفلسطيني حول غزه وما جاورها وقد استوطنوا هذه المناطق منذ القرن السابع قبل الميلاد بل هناك مايثبت ان العرب كانوا يقيمون حول قيسارية في الجزء الاوسط من السهل الساحلي الفلسطيني[1].

هذا بالاضافة الى ماشرنا اليه من اهمية موقع القدس التجاري بالنسبة للجزيرة العربية فقد قلنا ان الكنعانيين واليبوسيين والعمالقة الذين استوطنوا فلسطين اتوا اليها من الجزيرة العربية «وقد سبق الفتح العربي الاسلامي فتح عربي

(١) انظر كتاب القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني مؤسسة الدراسات الفلسطينية ووزارة الدفاع اللبنانية ص ٣٠ .

من قديم العصور اذ هبط عرب البادية فلسطين قبل الغزو البابلي وقبل ان يهبطوا مصر ويؤسسوا فيها دولتهم المعروفة (بملوك الرعاة) اي قبل الفتح الاسلامي بـ ٤٤ قرنا وكذلك الاقباط الذين انشأوا دولة «البتراء» الشهيرة التى امتد سلطانها الى سوريا وفلسطين كانوا عربا، وكذلك القبائل اليمنية «الفتح الحموزابي» حين غادرت هذه القبائل جزيرة العرب بعد سيل العرم واتجهت الى فلسطين واستوطنتها قبل الفتح الاسلامي بـ ٢٨ قرنا»[٢] .

وقلنا ان النبي العربي محمدا ﷺ ولد في عهد هرقل وأسري به الى بيت المقدس في عهده ايضا وحينما هاجر النبي الى المدينة وفرضت الصلاة على المسلمين اتخذ بيت المقدس قبلته ستة عشر شهرا فلا عجب ولا غرابة اذا احب المسلمون هذه البلاد المقدسة التى باركها الله بعد ان احبها نبيهم وكانت موضع اسرائه وقبلته الاولى .

وفي عهد الخليفة ابي بكر الصديق (رضى الله عنه) نفذت وصية النبي ﷺ فهيأ ابو بكر الجيش الذي كان قد اعده النبي بقيادة اسامة بن زيد الى الشام وفلسطين وزوده بتلك النصائح التى يجدر بالقادة العسكريين في كل زمان ومكان ان يعملوا بها ويلقنوها جنودهم وبخاصة قادة اسرائيل الذين لايملكون ذرة من الانسانية والرحمة والشفقة تجاه الانسان

(٢) انظر المفصل في تاريخ القدس لعارف العارف جزء ١ ص ٨٣ و ٨٤

فضلا عن الحيوان والنبات والتراب ، والذين يتفاخرون بسياسة الارض المحروقة التى طبقوها في فلسطين والبلاد المجاورة اما الوصية التى اوصى بها ابو بكر جيش اسامة فهى :

«لاتخونوا ، ولاتغدروا ، ولاتغلوا ، ولاتمثلوا ، ولاتقتلوا طفلا ، ولاشيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولاتعقروا نخلا ، ولاتحرقوه ، ولاتقطعوا شجرة مثمرة ، ولاتذبحوا شاة ، ولابقرة ، ولابعيرا ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم ومافرغوا انفسهم له» .

غير ان جيش اسامة لم يفلح يومذاك في اخضاع بعض القبائل فجهز ابو بكر جيشا جمع عناصره من جميع انحاء الجزيرة العربية وقسمه الى اربعة جيوش عقد الويتها لاربعة من كبار القادة :

- عمرو بن العاص ووجهته فلسطين .
- شرحبيل بن حسنه ووجهته الاردن .
- يزيد بن ابي سفيان ووجهته دمشق .
- ابو عبيدة بن الجراح ووجهته حمص ومركز القيادة «الجابيه» .

وكان البيزنطيون يوم ذاك يسيطرون على سوريا وفلسطين ، وسار القواد في الاتجاه الذي عين لكل منهم وكان ذلك في سنة ١٣هـ - ٦٣٤م وقد سلك عمرو بن

العاص طريق العقبة (ايله) الساحلي ووقع الصدام الاول في «وادي عربه» حيث نزل عمرو وكان يزيد بن ابي سفيان هناك فخسر «سرجيوس» القائد البيزنطي المعركة ورجع الى مركز قيادته «في قيساريه» ولكنه قتل قبل ان يصل الى المدينة وتمكن عمرو بن العاص ويزيد من احتلال القسم الجنوبي من فلسطين ١٣ هـ - ٦٣٤م وبعد ذلك بقليل وقعت معركة «اجنادين» التى فتحت ابواب فلسطين امام العرب المسلمين وتمكن شرحبيل بن حسنه من عبور غور الاردن في شماليه بعد ان احتل «فحل» . واراد «هرقل» ان يشغل كل كتيبة من كتائب الجيش الاسلامي بطائفة من جيشه الكبير ليضعف قوة اندفاعهم وزحفهم ولاحظ عمر كثافة جيش الروم الذي يزيد على مئة الف مقاتل فارسل عبد الله بن عمر بن الخطاب (رض الله عنهما) في الف فارس داهم بهم عشرة الاف من جيش الروم وحمل عبد الله بنفسه على قائدهم فقتله وداخل الرعب قلوب الروم فانهزموا تاركين وراءهم كثيرا من الاعتدة والسلاح والمؤن وستمائة رجل اسير وقتل من المسلمين سبعة رجال على ماروواه الواقدي .

وفي الوقت الذي انشغل فيه المسلمون بفتح بلاد الدولة البيزنطية في الشام وفلسطين والعراق وصلت انباء الشام بأن ابا عبيده لم يقو على مواجهة جيش الروم الذي هو اكثر عددا وتجهيزا فكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد يطلب منه

الالتحاق بجيوش المسلمين التى امرها بالتجمع في وادي اليرموك فلبى خالد الامر وتولى القيادة مكان ابي عبيدة والتحم العرب والبيزنطيون في معركة اليرموك سنة ١٥هـ - ٦٣٦م وكان انتصار المسلمين فيها رائعا وحين علم هيرقل بانتصار المسلمين في اليرموك ترك بيت المقدس واسرع بالرحيل الى حمص لانها اكثر امانا على حياته حيث جعلها مقرا لقيادته ، كما توجه ابو عبيدة وخالد الى حمص فاستوليا عليها ثم على حماه وقنسرين واللاذقية وحلب واثناء معركة اليرموك كان الخليفة ابوبكر رضي الله عنه قد توفي .

عاد ابو عبيده بعد ان تم له الاستيلاء على سوريا ليتولى قيادة الجيش الاسلامي الذي كان يحاصر القدس سنة ٦٣٥م في حين راح عمرو بن العاص يفتح المدن الفلسطينية الواحدة بعد الاخرى وحدث ان الوالى الروماني الذي كان على فلسطين يدعى «ارطبون» قد اقام جندا كثيرا في بيت المقدس وغزة والرمله فكتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بكثافة جيش الروم فقال عمر «قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب فانظروا عما تنفرج» واقتتل الجيشان الاسلامي والرومي فانهزم ارطبون مع ثمانين الفا من الروم والتجأوا الى ايلياء وكان ذلك سنة ١٥ للهجرة ٦٣٦م وكان من نتيجة هذا الانتصار ان اذعنت يافا ونابلس وعسقلان وغزه والرملة وعكا واللد وسواها وفتحت

بوابها للمسلمين من دون قتال الا بيت المقدس .
. قلنا ان ابا عبيدة قد عاد ليتولى قيادة الجيش الاسلامي الذي كان يحاصر ايلياء وفور وصوله الى الاردن بعث الى اهل ايلياء انذارا يدعوهم فيه الى الاسلام او الجزية او الحرب ورفض اهل ايلياء الكتاب الانذار فهاجم الجيش الاسلامي المدينة وحاصرها اربعة اشهر كاملة طلب بعدها البطريرك (صفر ونيوس) باسم اهل المدينة ان يستسلموا على يد الخليفة عمر بن الخطاب نفسه وهكذا كان فقد حضر عمر بن الخطاب من المدينة ولما وصل الى المخيم الذي كان يرابط فيه المسلمون على مقربة من السور وفي رواية اخرى على جبل الزيتون كّبر عمر واستقبله المسلمون بالتهليل والتكبير ولم يكن معه سوى عبده وبعد استراحة قليلة امر بأن يبلغوا البطريرك بقدومه .

وجاء البطريرك حاملا الصليب على صدره ومعه عدد من الاساقفة والقسيسين والرهبان ، ولما انتهوا الى مكان الخليفة خف لاستقبالهم بمزيد من التكريم والاحترام وقد جرت بينهم مفاوضات انتهت الى عقد المعاهدة التى عرفت بـ (العمريه) وهذا نصها :

«هذا ماعطى عبد الله امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان ، اعطاهم انه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ، ولا من خيرها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من اموالهم ،

ولايكرهون على دينهم ، ولايضارّ احد منهم ، ولايسكن في ايلياء معهم احد من اليهود وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن وعليه مثل ماعلى اهل ايلياء منِ الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ماعلى اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله فانه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم ، وعلى مافي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية وكتب سنة ١٥ للهجرة وشهد على ذلك : خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان».

ثم دخل عمر بن الخطاب ايلياء فاستقبله البطريرك «صفرونيوس» ودخل من ورائه المسلمون وهم يكبرون ويهللون وقيل بان عددهم اربعة الاف وهم متقلدون سيوفهم والراية العربية تخفق فوق رؤوسهم .

وكان اول عمل قام به الخليفة عمر رضي الله عنه ان زار كنيسة القيامة ولما كان في داخلها حان وقت الصلاة فاشار عليه البطريرك ان يصلي حيث هو داخل الكنيسة ولكن عمر

رفض ذلك خشية ان يتخذ المسلمون صلاته داخل الكنيسة حجة لاحتلالها وانتزاعها من المسيحيين فقابل البطريرك واصحابه هذا العمل بالشكر والتقدير والاعجاب .

ثم زار عمر رضى الله عنه مكان الهيكل وكان في حالة خراب وقد تجمعت فيه الاقذار فراح يحفر التراب وينحيه بيديه وهكذا فعل الصحابة الى ان نظفوا المكان وبرزت الصخره وامر عمر ببناء مسجد فوقها وكان هذا المسجد من خشب وبعد أن انتهى من زيارة القيامة والصخرة راح يتجول في شوارع المدينة المملوءه بالحفر والتراب من جراء الغزو الفارسي سنة ٦١٤م فامر بتنظيف الشوارع والازقة ونظم الادارة المحلية واقام على المدينة يزيد بن ابي سفيان وامر على فلسطين رجلين هما علقة بن حكيم الذي ولاه نصفها الشمالي وانزله الرملة ، وعلقمه بن مجزر على نصفها الجنوبي وانزله الايلياء ثم عاد عمر الى الحجاز وقد امتد عهد الخلفاء الراشدين من سنة ١١هـ - ٦٣٢م الى ٤١هـ - ٦٦١م * ..

---

* يقول الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» إن عمر رضي الله عنه دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داوود ، وصلى فيه المسلمون صلاة الغداة — ثم جاء إلى الصخرة فنقل التراب عنها وقد كان الروم جعلوا الصخرة مزبلة . ولم يرد أن عمر أمر ببناء مسجد فوق الصخرة ! «البداية والنهاية ج : ٧ ص · ٥٥ و ٥٦» .

«المشرف»

القدس والامويون

خضعت القدس لحكم الامويين حيث تسلم معاوية من ابي سفيان اول خليفة اموي الحكم فيها بعد موت عبد الرحمن بن علقمة الكناني الذي كان واليا عليها واقام معاوية عليها سلامة بن قيصر وهو صحابي مشهور فنزل سلامه في نفس المكان الذي يقوم عليه قصر (هيردوس) في عهد الرومان وكانت القدس يومذاك محصنة تحصينا تاما ، لها سور عليه اربعة وثمانون برجا للمراقبة ، وله ستة ابواب ثلاثة تستعمل لدخول الناس وخروجهم من الغرب والشرق والشمال .

ثم جاء بعد معاوية ابنه يزيد ثم معاوية بن يزيد وفي عهد الاخير بايع اهل الحجاز عبد الله بن الزبير بالخلافة ثم انضم اليه اهل مصر ، ولما تولى خلافة الشام مروان بن الحكم انقسمت البلاد الى قسمين قيس ويمن ثم تولى عبد الملك بن مروان سنة ٦٨٤م وفي عهده بنى المسجدان : مسجد الصخرة ، والمسجد الاقصى وهما من اعظم اثار بني اميه في فلسطين بل من اهم مفاخر العرب في الشرق كله ، وفي عهده تم تعبيد طريق القدس - الشام وطريق القدس الرمله ووضع في اماكن معينة حجارة نقش عليها اسم الذي امر بتعبيد الطريق ، والمسافة بين ذلك المكان ودمشق مقر

الخلافة وكانت المسافة تقاس بالاميال كما سك النقود ونقش الدنانير والدراهم بالعربية وكان النقش على جانب (الله احد) وعلى الجانب الاخر (الله الصمد) .

بعد عبد الملك تولى الخلافة ابنه الوليد فاتم بناء المسجد الاقصى وغشى قبته بالنحاس ، وبلغ بنو اميه في عهده اقصى درجات العز والمجد ، وشمل ملكه بلاد الترك والروم والهند ، وفتح موسى بن نصير وطارق بن زياد الاندلس باسمه وقد احب الوليد بيت المقدس وكان ينوي اتخاذها مقرا للخلافة وبعد وفاته تولى الخلافة اخوه سليمان ومن بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز سنة ٧١٧م وكان الاخير ورعا عادلا ومن اعماله انه لما احس بنوايا اليهود واطماعهم في بيت المقدس طردهم منها ، وفي اواخر العهد الاموي اي في عهد مروان بن محمد انتشر الفساد في البلاد وثار الحكم بن ضبعان بن زنباع على الأمويين كما ثار عليهم ابو العباس الهاشمي الملقب بالسفاح فبايعه اهل العراق وجمع جيشا كبيرا حارب به جيش مروان فتغلب عليه وهرب مروان الى مصر فلحقه وقتله هناك وقضى على الدولة قضاء تاما سنة ٧٥٠م .

ومن اثار الامويين ، مدينة الرملة التي بنيت في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي نقل مركز ادارة جند فلسطين اليها وكانت قبل ذلك في اللد لكونها تقع في رقعة

خصبة طيبة الهواء ولكونها تقع على الطريقين اللذي يربطان السهل بالقدس وشمالي السهل بجنوبه وكان يزرع فيها التين والزيتون والنخل والزروع البعلية كما بنيت في عهودهم قصور البادية في الاردن على اطراف الصحراء ومنها قصر المغمر شمال اريحاء ويسمى ايضا قصر هشام باسم بانيه الخليفة هشام ، وقصر خربة المنيه الذي بناه الوليد شمالي غربي بحيرة طبريا .

وبذلك تكون الدولة الاموية قد مارست الحكم من ٦٤١م الى ٧٥٠م الى موت مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين .

القدس والعباسيون

انتقل الحكم في العالم العربي من الامويين الى العباسيين الذين جعلوا عاصمتهم الكوفة حتى بناء بغداد سنة ١٤٥هـ و ٧٦٢م وكان قد احتل فلسطين القائد «صالح بن على عم السفاح» وهو الذي قتل اخر خليفة اموى وقضى على الخلافة الاموية كما كان زعيم فلسطين حينذاك (الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع) الذي خضع للحكم العباسي اذ كان بدوره من الذين ثاروا على مروان بن محمد . وقد ارسل صالح بن

على الى عمه السفاح زعماء الدولة الاموية الذين التجأوا الى فلسطين ومنهم الوليد بن عبد الملك وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك فقتلهم ولم يبق منهم سوى عبد الرحمن بن معاوية مؤسس الدولة الاموية في الاندلس .

ثم جاء بعد السفاح ابو جعفر المنصور الذي بويع سنة ١٣٦هـ اي ٧٥٤م ، فامر محمد بن الاشعث ان يسير الى الاردن ويخرج عمال (صالح بن على) من الاردن والبلقاء وفلسطين فأخرجهم منها وقدم القدس بعد الزلزال الاول الذي وقع شرقي المسجد وغربيه فرفعوا اليه الامر وكان ينقصه المال فامر بنزع صفائح الذهب والفضه التى كانت على ابواب المسجد الاقصى فضربت دنانير وانفقت على تعميره ثم حدث زلزال اخر فوقع البناء الذي امر به ابو جعفر المنصور لانه كان شديدا وقد ترك اثرا في جميع الابنية المقدسة ولاسيما المسجد الاقصى الذي لم يتمكن الناس من الصلاة فيه لمدة طويلة .

ولما جاء المهدي من بعد ابي جعفر المنصور امر ببناء المسجد حيث قال «رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه» ، فتم البناء في عهده ثم جاء محمد المهدي بن المنصور وفي عهده عمر المسجد ايضا ولم تذكر القدس في زمن خلافة موسى الهادي

واما في زمن اخيه هارون الرشيد فقد بلغت دولة العرب والمسلمين من العمران والمجد والاتساع ماجعله يخاطب الغمامة في عام مجدب قائلا : «اذهبي وامطري أنّى شئت فان خراجك سيأتي الى وقد عامل هارون الرشيد النصارى معاملة حسنة وسمح للامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء وبجانبها دير يأوى إليه زوار اللاتين ، وتعهد بحماية الحجاج المسيحيين الذين يأتون لزيارة القدس ، اما شارلمان فكان يرسل في كل سنة وفدا الى القدس يحمل الهدايا الى الخليفة والاموال لفقراء المسلمين كما يرسل الخليفة اليه هدايا بالمقابل وارسل اليه ايضا مفاتيح القيامة والقبر المقدس .

وخلف الرشيد ابنه محمد الامين سنة ١٩٣هـ - ٨٠٩م ومن بعده جاء اخيه عبد الله المأمون وفي عهده زار الامام محمد بن ادريس الشافعي بيت المقدس وصلى فيه كما زارها عدد كبير من اهل العلم والفضل وقد بلغ العلم في عهده مبلغا عظيما .

ولما توفي المأمون جاء اخوه المعتصم بن الرشيد فلقب بالمعتصم بالله وفي عهده بدأت الدولة العربية تتقهقر فقد كان اميا وضعيفا كما كان اول من جند الاتراك واستعان بهم في الحرب وامر عامله في مصر ان يقطع العطاء عمن هم في ديوان مصر من العرب وراح العباسيون من بعده يرقون

مواليهم من حارس الى وصيف الى قائد وامير ولكنهم لم يحفظوا الجميل بل سلبوا الخلفاء العباسيين كل صلاحياتهم واصبح هؤلاء ادوات في ايديهم .

وفي ايام المعتصم ٢٢٤هـ – ٨٣٨م بعث رجلا من رجاله الى فلسطين يدعى رجاء بن ايوب وفي رواية رجاء بن اشيم الحميري وسار هذا لقتال تميم اللخمي ويعرف بابي حرب والمرقع وكان هذا قد خلع طاعة الخليفة ودعا لنفسه فتبعه خلق كثير وسبب ذلك ان جنديا اراد النزول في داره وهو غائب فوجد احدى قريباته زوجته او اخته فمانعته فضربها بسوط اثر في جسدها فلما رجع ابو حرب الى منزله شكت اليه ماحدث فتناول ابو حرب سيفه وقتل الجندي ثم هرب والبس وجهه برقعا وراح يتنقل من جبل الى جبل في بقاع فلسطين والاردن ويصف الظلم الذي لحق به فصدقه كثيرون وناصروه ، والتقى رجاء الحميري بابي حرب ومن معه في الرملة وكانت الغلبة للقائد العباسي فاسر تميما وقتل عددا كبيرا من اصحابه .

وهكذا تعاقب الخلفاء العباسيون على حكم فلسطين ولم يحدثوا فيها شيئا يذكر الى ان دب الضعف في الدولة العباسية نتيجة دخول عناصر اجنبية في الجيش العربي وهي العناصر التركية وبعد فترة من الزمن اصبح الخلفاء الات طيعة بايديهم كما ان الحروب عادت لتشتعل من جديد بين قيس واليمن في

اواخر عهدهم وقبع الخلفاء في قصورهم واقتصرت سلطتهم على تصريف الشؤون الدينية فقط وظلوا كذلك الى ان زحف هولاكو على بغداد ٦٥٦هـ - ١٢٥٧م وقضى على الخلافة العباسية فيها فغادروها بعد ان عاش في بغداد منهم سبعة وثلاثون خليفة ، غادروها الى مصر حيث عاش منهم فيها خمسة عشر خليفة وكان اخرهم المتوكل على الله الذي تنازل عن الخلافة الدينية الى السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م وسلمه مفاتيح الحرمين فتكون الخلافة العباسية قد عاشت سبعمائة وسبع وستين سنة .

وهنا لابد من الاشارة الى قيام الدولة الطولونية التى لم تدم طويلا والتي لم يحدث حال قيامها شيء يذكر بالنسبة لفلسطين وكان مؤسس هذه الدولة (ابن طولون) الذي اسره ابن اسد الصمامي عامل المأمون في احدى غزوات العرب في بلاد الترك وهو ينتمي الى احدى القبائل التركستانية ، وقد ارسله الصمامي الى الخليفة في بغداد حيث كانوا يرسلون الاسرى الى الخلفاء وكبار القادة فيستخدمونهم في منازلهم ويدعونهم بالمماليك .

وكان ان اعجب المأمون بابن طولون فالحقه بحاشيته ثم رقاه فجعله رئيسا لحرسه وقد اغتنم ابن طولون ضعف الدولة العباسية فتولى قيادة الجيش وسيطر على البلاد ووطد سلطانه في مصر وفي عهده اقتتلت قبيلتا لخم وجذام وهما قبيلتان

فلسطينيتان .

ولما توفي اماجور الترك حاكم الشام اغتنم ابن طولون الفرصة فضم سوريا الى مصر واصبح حاكما عليهما ولما حشد جيوشه في فلسطين اتاه حاكم الرملة خاضعا فأقره في منصبه وكان اخر حكام الدولة الطولونية (هارونا بن خمارويه) الذي طعنه احد المغاربة من جيش المعتمد على الله فقتلة سنة ٣٩٢هـ - ٩٠٤م ثم تولى عمه «شيبان» ولكنه قتل بعد ذلك ببضعة ايام وبذلك انتهت الدولة الطولونية .

القدس والدولة الاخشيدية

لم يتخلص العباسيون من اعدائهم حينما ظنوا انهم قضوا على الدولة الطولونية فقد ظهرت الدولة الاخشيدية وعلى راسها (محمد الاخشيد) الملقب بابي بكر وهو ابن طغج بن جف بن بلتكين بن فوري بن خاقان .

جاء جف جد محمد الاخشيد الى هذه البلاد في عهد المعتصم بالله ابن هارون الرشيد فاقطعه السامرا (سرّ من رأى) وتوفي في بغداد ليلة مقتل المتوكل على الله وكان طغج بن جف قد دخل في خدمة (خمارويه) بن احمد بن طولون فقلده بعض المناصب الهامة وولاه دمشق وطبرية ولكنه مات

في السجن حيث حبسه الوزير العباسي ابن المحسن في عهد المكتفي بالله وكان معه في السجن ابنه محمد الاخشيد الذي نجا من السجن وجاء الى الشام فولاه الخليفة المقتدر مدينة الرملة عام ٣١٦هـ - ٩٢٨م فاقام فيها سنتين ثم تولى الشام ولما قتل الخليفة المقتدر بالله وبويع اخوه القاهر بالله ابن المعتضد بالله ولي محمد بن طغج مصر ولقب بالاخشيد (ومعناه ملك الملوك) .

وفي سنة ٣٢٨هـ - ٩٣٩م اعطى الخليفة الراضي بالله لقب امير الامراء لمحمد ابن رائق صاحب فلسطين وكان مستقلا عنه فغزا الشام وعليها بدر الاخشيدي فحاربه فهرب بدر ونهض محمد الاخشيد من مصر لنجدته وبعد قتال عنيف وضع محمد الاخشيد يده على الرملة واسر خمسمائة رجل من جيش ابن رائق ، وقتل حسين بن الاخشيد فارسل محمد بن رائق ابنه مزاحم الى الاخشيد ليعزيه وهناك اصطلحا على ان تكون البلاد من الرمله الى حدود مصر للاخشيد وباقي الشام لابن رائق وان يدفع الاخشيد الى ابن رائق كل سنة مئة واربعين الف دينار تعويضا عن الرملة .

ولما قتل محمد بن رائق سنة ٣٣٠هـ استرد الاخشيد البلاد التي تنازل عنها له ثم توفي الاخشيد ودفن في القدس فتولى الامر ابنه ابو القاسم الملقب بـ (انوجور) فاستضعفه سيف الدولة وانتزع منه دمشق .

ولما مات (انوجور ابن الاخشيد) دفن في القدس عند ابيه وتولى الحكم اخوه على الملقب بابي الحسن ولم يكن له شيء من الحكم الا الاسم اذ منع كافور الاخشيدي الناس من الاجتماع به وبقيت صلاته بمدير مملكته كافور سيئة الى ان مرض ومات وبموته خلت الساحة «لكافور» في حكم مصر ولقب بالاخشيدي ٣٥٥هـ و ٩٦٥م .

ثم توفى كافور سنة ٩٦٦م ودفن في القدس ووقع الخلاف بين الاخشيديين فتضعضعت الدولة الاخشيدية واستولى جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي على البلاد .

القدس والفاطميون

جاء الفاطميون بقيادة جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي صاحب المغرب بعد ان دعاه اهل مصر للقضاء على الدولة الاخشيدية في اواخر عهدها وانهيار دولتها ، ولم يدخل المعز في طاعة الخلفاء العباسيين بل ادعى الخلافة لنفسه مفضلاً نفسه على بني العباس لانه من ولد بنت فاطمه بنت رسول الله ﷺ وبعد أن استقر جوهر في مصر ارسل جيشا الى الشام بقيادة «جعفر بن فلاح» فجاء هذا الى الرملة وكان فيها الحسن بن طغج فقاتله وتغلب عليه ثم استولى على فلسطين

بكاملها ثم استولى على الشام وبذلك اصبح المعز خليفة مصر وسوريا وفلسطين والمغرب ، وبعد وفاة المعز تولى ابنه العزيز ودارات بينه وبين «افتكين» وكان ذا كلمة في سوريا — حرب دامية دامت شهرين قتل فيها عدد كبير من الفريقين فاستعان اهل الشام بالقرامطة الذين اجبروا جوهر قائد العزيز على الرحيل من دمشق وتبعه افتكين والقرمطي وجيشهما فحصروه في عسقلان سبعة عشر شهرا تمكن بعدها من الهرب الى مصر واخبر العزيز بما كان فسار العزيز بنفسه الى الشام فالتقى بافتكين والقرامطة وغلبهم واسر افتكين واخذه الى مصر وجاء العزيز الى فلسطين مرة اخرى عندما اثار عليه مفرج بن الجراح امير بني طيء وكان قائد جيشه تركياً اسمه بلتكين فسار الى الرملة واجتمع إليه العرب من قيس وغيرهم وكان أن هزم ابن الجراح واستولى العزيز على البلاد كلها واقام على فلسطين وزيرا قبطيا هو الشيخ ابو اليمن فرمان بن مينا الكاتب .

ولما توفي العزيز خلفه ابنه المنصور «الحاكم بامر الله» الذي كان مترددا يأمر بالشيء ثم يرجع عنه فامر بهدم كنيسة القيامة ثم عمرها واطلق الحرية للنصاري واليهود في ممارسة طقوسهم وشعائرهم بعد ان كان يضطهدهم ويمنعهم من ذلك ، ولم يكن المسلمون بأوفر حظاً منهم فقد عاملهم بقسوة وحاول الغاء بعض اركان الدين الاسلامي كالصلاة

والحج والزكاة وكان من رجاله آنذاك حمزة بن علي الزوزني وهو الذي اسس المذهب الدرزي واعتبر اتباعه ماكتبه انجيلا للدعوة الالحادية التي كان يبشر بها وهي الوهية الحاكم بامر الله وكان له زميلان ساعداه على ذلك هما محمد بن اسماعيل او «انوشتكن» والحسن الفرغاني الملقب بالاشرم فهذان نشرا الدعوة في مصر ثم طردا منها فجاءا الى الشام مع اتباعهم حيث نشروا دعوتهم ويزعم حمزة ان دينه يلغي جميع الاديان التي سبقت .

ثم ثار على الفاطميين (المفرج الطائي) مرة ثانية ولكنه لم يفلح فهرب ثم ثار مرة ثالثة فاستولى على الرملة ولكن الحاكم بامر الله بعث يسترضيه هو وولده حسان فاستسلما وكرمهما الحاكم ثم بعث من دس السم للمفرج فمات مسموما ولم يثأر له ولده حسان بل عقد حلفا مع امير بني كلاب وامير الشام وزحف على الرملة فاستولى عليها وقتل حاكمها واستدعى حسان وحليفاه الحسن بن جعفر الحسني امير الحرمين ونادوا به خليفة علويا مكان الحاكم وسمي (امير المؤمنين الراشد لدين الله) وبعث الحاكم جيشه الى فلسطين بقيادة (باتركين العزيزي) الا ان بني الجراح تغلبوا عليه ثم تصالح الطرفان فعاد الحسن بن جعفر الى مكة وعاد الحاكم فبسط سيادته على البلاد وبعد ان توفي الحاكم بأمر الله خلفه ابنه الظاهر لاعزاز دين الله .

ثم تعاقب الحكام الفاطميون فجاء المستنصر بالله ابن الظاهر وفي عهده امتد سلطان الفاطميين من المغرب ومصر الى خراسان وفارس ثم عاد لينكمش في عهده كثرت الزلازل في مصر وسوريا وانثلم سور القدس وانشقت الصخرة ، وفي عهده جددت واجهة المسجد الاقصى الشمالية وقد كانت المستنصر ضعيفا فقوى الاتراك في عهده وقسمت البلاد بينهم وبين العبيد وكتب المستنصر الى بدر الجمالي صاحب الشام بان ياتي الى مصر بجيشه ليوليه عليها فقبل هذا شرط ان يستبدل جنود مصر بمن يختارهم من جنود الشام وسافر الى عكا برا ثم الى مصر بحرا وهناك قضى امراء المستنصر الذي قلده وزارة السيف والقلم ولقبه امير الحرمين كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين «وعادت سطوة الخلافة السياسية والدينية الى مصر وقد اغتنم الأمير «انسز بن اوق الخوارزمي التركماني» غياب بدر الجمالي عن سوريا فقدم اليها غازيا فاستولى على بيت المقدس وطبريا ومابعدها حتى دمشق ثم تحول الى مصر فصالحه بدر الجمالي على مئة وخمسين الف دينار يدفعها له بعد خروجه من مصر ثم هاجمه وتغلب عليه وخسر التركمان تلك المعركة ومات بدر الجمالي في مصر بعد حكم فيها عشرين سنة وبعده بايام توفي المستنصر .

القدس والصليبيون

زار مدينة القدس عام ١٠٩٣ الراهب الفرنسي (بطرس الناسك) ومعه عدد من الزائرين وحين التقى بطريرك القدس سمعان تحدث معه في ضرورة خلاص القدس من ايدي المسلمين ، ولما رجع الى فرنسا حمل معه رسالة من البطريرك المذكور الى البابا «اوريانوس الثاني» واخذ يدعو الناس الى انقاذ بيت المقدس ورفع الظلم عن المسيحيين المضطهدين بالرغم من ان المسلمين كانوا هم والمسيحيون على اتفاق كامل وننقل للتاريخ شهادة احدهم وهو ميخائل الساعاتي وقد نشرتها مجلة الراعي الصالح في الجزء السابع ص١٣٣ عام ٩٤٠ حيث يقول فيها : «إنصافاً للحق يجب ان نصرح بان مسيحي فلسطين كانوا يعيشون مع المسلمين اخوانهم في الوطنية واللغة في سلام وصفاء وكان الخلفاء يسندون الوظائف العالية الى اصحاب المواهب منهم ، اما الاضطهادات التى كانت تحيق بهم في بعض فترات التاريخ فترجع الى شذوذ عقلية بعض الملوك الذين لم ينج المسلمون انفسهم من اذاهم فاذا كان ملك مستبداً عاتيا فمن الظلم ان نقيس عليه سائر الملوك» ، وهناك شهادات كثيرة بهذا الشأن لامجال لذكرها الآن .

أذكى بطرس الناسك ومن معه الروح الدينية الانتقامية في

شعوب اوروبا وعقد اول اجتماع برئاسة البابا «اوريانوس . الثاني» (بلاصانشي) حيث اجتمع مايزيد على مائتي اسقف واربعة آلاف اكليركي وثلاثين الفا من العلمانيين المنتمين الى مختلف الشعوب والاقطار وكان شعار الاجتماع : ارسال حملة صليبية لانقاذ قبر المسيح من ايدي المسلمين .

ثم انعقد اجتماع اخر سنة ١٠٩٥م في مدينة «كليرمون» وكان الفصل شتاء والبرد قارسا فخطب بطرس الناسك وادعى انه شاهد المسيحيين مثقلين بالسلاسل الحديدية يعاملون معاملة الاسرى والعبيد وانه رأى قبر المسيح مهانا وزواره مضطهدين من قبل اعداء الله والبشر ، وان كهنة الرب اذلاء فقراء يُجرّون من داخل الكنيسة الى الخارج حيث يضربون ويقتلون «وبعد ان انهى خطابه تقرر ارسال حملة صليبية الى فلسطين وزحفت الجموع الحاشدة الى القدس في الحملة الصليبية الاولى التى لم يكن لها قائد عام بل قواد كثيرون «كبطرس الناسك» «وغودفري» «دوبويون» وغيرهما ولما بلغوا مدينة صوفيا امرهم الامبراطور «الكسيس كومتين» ان لايمكثوا في المدينة اكثر من ثلاثة ايام بسبب اعمال النهب والعنف التى اقترفوها في اراضية وعندما وصلوا الى القسطنطينية نهبوا المنازل والقصور بل فعلوا اكثر من ذلك فنهبوا الكنائس ولما اجتازوا الاناضول قاتلهم «فليح ارسلان» ولكنهم عبروا بعدئذ انطاكية وطرابلس وبيروت

وصيدا وصور عكا ويافا والرملة وعندما وقفوا امام اسوار بيت المقدس سنة ١٠٩٩م كان عددهم اربعين الفا فحاصر فريق منهم المدينة من ناحيتها الشمالية وحاصرها الفريق الاخر من الناحية الغربية وعسكر بعضهم على تل صهيون من ناحيتها الجنوبية الغربية واقام الاخرون خيامهم حول المدينة وبدا الحصار في اليوم السابع من حزيران ١٠٩٩م ودام الحصار نيفا واربعين يوما عانى الصليبيون خلالها انواع المحن من قلة الماء في المدينة وفقدان الذخيرة وكان في مدينة القدس «افتخار الدولة» يديرها باسم الخليفة الفاطمي «المستكفي بالله» وكان عدد سكانها عشرين الفا وحامية الدفاع عن المدينة مؤلفة من اربعين الف مقاتل من المسلمين بعد ان ابعدوا المسيحيين عن ساحة المعركة ، وفي صيف تلك السنة وبعد ان كاد اليأس يستولى على الصليبيين جاءتهم النجدة في مراكب بحرية محملة بالذخائر والعتاد فداهمتها سفن المسلمين واحرقت قسما منها ونجا القسم الاخر وكاد المسلمون ينتصرون بعد ان عطلوا الات الصليبيين الحربية حيث استعملوا في دفاعهم عن المدينة المواد الملتهبة والكباير المشتعلة بالزيت والنشاب القوية وكاد الصليبيون يرتدون على اعقابهم خاسرين لولا النجدة التى اشرنا اليها .

واقام الصليبيون برجين عاليين اطلوا منهما على السور احدهما بباب صهيون والاخر بين باب العمود وباب الاسباط

وهو برج الزاوية وانشاوا برجا ثالثا ولكن المسلمين احرقوا برج باب صهيون وقتلوا من فيه غير ان الحصار طال امده ودبر الصليبيون هجوما عاما استعملوا فيه الاسلحة التي جاءتهم وراح الفريقان يتقاتلان بالسلاح الابيض ورجحت كفة المسلمين مرة ثانية وكاد الصليبيون ييأسون لولا اشاعة اطلقها بينهم رجال الدين تقول «هوذا القديس جاورجيوس يطل عليكم من جبل الزيتون» فقاموا عند ذلك بهجوم عنيف احتلوا على اثره المدينة ودخلوها سنة ١٠٩٩ – ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ ، وبعد ان تم لهم احتلالها كان المسلمون يذبحون ذبح الاغنام في الشوارع والمنازل ولم يجد اهل المدينة مكانا آمناً يلجأون اليه فالقى بعضهم نفسه من فوق الاسوار وازدحم الاخرون في المساجد والقصور ولكن ذلك لم يجدهم نفعا اذ حاصر الصليبيون جامع عمر وجددوا تلك المناظر الوحشية التي تعد وصمة عار في جبين فرسان «التيتون» كما ذكر ذلك المؤرخ الفرنسي ميشو (في كتابه تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ج ١ ص ٢٣٩ و ٢٨٢ كما ان اليهود نالوا نصيبهم من هذه المجزرة فجمعهم الصليبيون في كنسهم واحرقوهم . واستعمل الصليبيون المسجد الاقصى لمصالحهم فغيروا كثيرا من معالمه واتخذوا جانبا منه كنيسة والجانب الاخر ثكنة فرسان الهيكل واضافوا اليه من الناحية الغربية بناء جديدا كمستودع للاسلحة والذخائر واتخذوا السراداب

الارضية اسطبلا لخيولهم واسسوا مملكة لاتينية جعلوا مقرها القدس واقاموا «غودفري» اميرا عليها حيث توجوه في كنيسة القيامة ثم توسعت هذه المملكة فاصبحت تمتد من بيروت حتى العقبة في عهد (بلدوين) الذي توج اول ملك لمملكة القدس وفي عهده استولت جيوشه بمساعدة الايطاليين على ارسوف وقيسارية وعكا واخيرا سقطت بيروت، وصيدا واستمر التوسع عبر الاردن وبنى قعلة «الشويك» في جنوبي الاردن ثم بنى خلفاؤه حصن الكرك وقد امتدت مملكة القدس اللاتينية من نهر الكلب شمالا الى العقبة جنوبا لكن صور ظلت خارج المملكة الى سنة ١١٥٣م وكان الانتصار الصليبي سهلا يسيرا ولكن الامر لم يستمر طويلا ففي سنة ١١٤٤م استرجع عماد الدين زنكي (الرها) من الصليبيين فقضى بذلك على اول امارة لاتينية في سوريا ، ولم يكد يمر قرن على احتلال الصليبيين البلاد حتى تغيرت الصورة السياسية في ديار الشام كلها وقد تم ذلك على يد صلاح الدين الايوبي .

القدس وصلاح الدين

ولد صلاح الدين يوسف بن ايوب في تكريت في العراق سنة ١١٣٨م وانتقل ابوه بعد ذلك بسنة واحدة الى بعلبك

حيث عين قائدا لحاميتها ولما ارسل عمه «اسد الدين شيركوه» الى مصر سنة ١١٦٤م رافقه صلاح الدين وهذه الرحلة كانت طليعة اتجاه جديد في حياته يرمي الى ثلاثة اهداف :

١ – اعادة مصر الى الخلافة العباسية ببغداد .

٢ – توحيد مصر وسورية تحت سلطة واحدة .

٣ – مواصلة الجهاد ضد الافرنج .

وقد تم له تحقيق الهدف الأول بسهولة فقد عمد صلاح الدين الى تغيير الخليفة الفاطمي «العاضد» وهو مسجًّي على فراش الموت وجعل الخليفة العباسي «المستضيء» مكانه وعلى هذه الصورة انتهت خلافة الفاطميين . اما هدفه الثاني فقد حققه سنة ١١٧٤م عندما توفي سيده نور الدين حاكم سوريا ففي بعض اشتباكات طفيفة بينه وبين ابن نور الدين «اسماعيل» انتزع سوريا منه وضمها الى مصر وكذلك ضم القيروان والحجاز الى مصر كما ضم الى الدولة السورية المصرية الناشئة بلاد النوبة واليمن والحق بها العراق وبذلك حاصر صلاح الدين الصليبيين وطوقهم ، وبعدما سقطت طبريا امام جيشه تحول الجيش الاسلامي نحو حطين في جوار طبريا فنشبت معركة في الثالث والرابع من تموز سنة ١١٨٧م وكان الحر شديدا وجيوش الصليبيين قد انهكها العطش واتعبها طول الطريق وسلاحها الثقيل فاحاط بها

المسلمون بسلاحهم الخفيف وامطروهم بوابل من النبال لم يسبق ان تعرضوا لمثله ولم يسلم من العشرين الفا الا من هرب ولاذ بالفرار اما الباقون فقد سقطوا في المعركة او وقعوا في الاسر وكان على راس الاسرى ملك القدس بذاته «غي ده لو سينان» وقد استقبله السلطان الكبير بما يليق برتبته الرفيعة لكن رفيقه «رينالد دي شاتيون» حاكم الكرك عومل معاملة اخرى كان يستحقها وذلك لخرقه عمدا الاتفاقات المعقودة ومهاجمته الحجاج وقوافل التجار لدى مرورهم بحصنه على الطريق الرئيسي جنوبي القدس وكانت اخت السلطان صلاح الدين مرة في احدى هذه القوافل وكان رينالد مغامرا فانزل قوة على ارض الحجاز المقدسة واتجه صوب المدينة المنورة واذ اصبح على مسيرة يوم او بعض يوم منها صدته فرقة مصرية نقلت بسرعة في اسطول مجهز وقد اشيع انه كان ينوي نقل جثمان النبي ﷺ من المدينة الى الكرك وكان صلاح الدين قد اقسم ان ينحره بيده ولما وقع اسيرا بين يديه ونقل الى خيمته وهو مكبل بالحديد طلب الماء فشرب ولم ينجه ان شرب الماء وهو في خيمة السلطان وارتعد (غي) اذ هوى صلاح الدين بسيفه على عنقه لكنه رد الامان الى نفسه بقوله : (ان الملك لا يقتل الملك) وكان النصر في يوم حطين مؤذنا بمصير المملكة اللاتينية فبعد حصار دام اسبوعا استسلمت القدس وكان الفرق واضحاً بين معاملة صلاح

الدين للمدنيين من الصليبيين وبين معاملة الصليبيين للمسلمين قبل ذلك بثمان وثمانين سنة فقد سمح صلاح الدين لمن يفتدى نفسه بالفداء وسمح للفقراء منهم بفرصة عشرين يوما ليجمعوا فيها مايفتدون به انفسهم وبيع الباقون عبيدا اما الاراضي التى اخلاها الافرنج فقد ابتاعها الجنود والنصارى من المواطنين . واستمرت حملة المسلمين تدك في طريقها الحصون الباقية فسقطت الشويك والكرك في الجنوب وقلعة كوكبا والشقيف وصهيون في الشمال ، ثم سقطت عسقلان وعكا وصفد وطرطوس وجبلة واللاذقية قبل نهاية ١١٨٩ ولم يبق في يد الصليبيين سوى صور وطرابلس وانطاكية وبعض المدن والحصون .

وحينما بلغ الخبر اوروبا ثارت واعدت الحملة الصليبية الثالثة التى اشترك فيها ملك المانيا «فردريك» وملك فرنسا «فيليب اغسطوس» وملك انكلترا «ريكاردوس قلب الاسد» وقد غرق الاول في كيليكية اما الاخران فوصلا بجيوشهما الى عكا وانضم اليهما اللاتين الموجودون في تلك الجهات ودارات حول عكا معارك طاحنة استمرت نحو سنتين وكانت المعركة من اكبر المعارك في تاريخ العصور الوسطى وكانت الاساطيل البحرية عونا للصليبيين ، واخيرا عقد صلاح الدين وريكاردوس صلح الرمله سنة ١١٩٢ وشروطه ان يظل الساحل من مدينة صور الى الجنوب في ايدي الصليبيين وان

يكون الداخل للمسلمين على ان لايعترض احد سبيل الحج الى مكة المكرمة .

وبعد وفاة صلاح الدين ١١٩٣ حدث انقسام في المملكة اخّر استرجاع ماتبقى من البلاد في ايدي الصليبيين قرابة قرن كامل إلى ان جاء المماليك الذين انشأوا دولتهم في مصر عام ١٢٥٠ ومع ان بعض المدن التى انتزعت من الصليبيين عادت اليهم فان المماليك اجلوهم نهائيًا عن البلاد سنة ١٢٩١ اذ احتلوا آخر معاقلهم في عكا وصور وصيدا وبيروت وطرطوس مع ان جزيرة ارواد ظلت بايديهم احدى عشرة سنة بعد ذلك .

اما سلاطين المماليك الذين اتموا تحرير فلسطين وغيرها من ايدي الصليبيين فهم :

١ – الملك الظاهر بيبرس .

٢ – والملك الناصر قلاوون .

٣ – والملك الاشرف خليل .

فالملك الظاهر بيبرس احتل ارسوف وتيسارية عام ١٢٦٥ وصفد ١٢٦٦ ، ويافا ١٢٦٨ وقلعة القرين ١٢٧١ .

واما الملك الناصر قلاوون فقد اهتم بالمدن الساحلية في اواسط سوريا واحتل طرابلس وقد تم احتلال عكا وهى اقوى قاعدة للصليبيين واصبحت عاصمة المملكة بعد سقوط القدس في سنة ١٢٩١ وتبعها سقوط كل من صور وصيدا

وبيروت على النحو المذكور .

وفي هذين القرنين بالاضافة الى المعارك والحروب حصلت اتصالات اجتماعية بين العرب والصليبيين في فلسطين وغيرها كما حصلت اتصالات تجارية بين موانىء فلسطين والمدن الاوروبية على شاطىء المتوسط .

وقد تعلم الصليبيون كثيرا من اهل البلاد بما في ذلك استعمال القوس المصلبة في البناء وارتداء الدروع الثقيلة والاقمشة الدمشقية والموصلية والثياب الشرقية وصنع السكر من القصب وصنع الفخار وشيئا عن الطب وذلك بسبب كثافة الصليبيين الذين دخلوا البلاد واختلطوا بشعوبها . وكان اول قنصل عين في عكا عينته مدينة جنوه سنة ١١٨٠م ولعله اقدم قنصل ذكره التاريخ وفي هذين القرنين وفد الى فلسطين عدد كبير من الرحالين الذين دونوا اخبار رحلاتهم وقد وصف بعضهم فلسطين والصورة الاجتماعية والاقتصادية التى كانت عليها في ذلك الزمن وهو «ثيودوريتش» .

«القدس يغلب على شوارعها انها مبلطة بالواح كبيرة من الحجارة وانها مسقوفة بعقود حجرية فيها نوافذ يدخل منها النور بيوتها مبنية من الحجر الجميل النقش واسطحتها مستوية ليست كاسطحة بيوتنا المنتهية بمخروط ، ويجمع السكان ماء المطر في ابار لانه لايوجد ماء اخر في بلدهم ، والخشب غالي الثمن في بلدهم لبعد مورده (لبنان) عنهم وكتب

«فوكاس» عن عكا (عكا تزيد عن غيرها من المدن السورية الساحلية في عدد السكان ، تاوي اليها جميع السفن التجارية ويجتمع فيها الحجاج الاتون في البحر والمسافرون برا وتكثر فيها الاوبئة بسبب كثرة الوافدين عليها كما كتب «ثيردوريتش» عنها .

وهى مدينة كثيرة السكان حيثما ينزل الحجاج فانهم مضطرون بعد انتهاء الحج الى الاجتماع في عكا ليحملوا منها إلى بلادهم وقد عددنا في يوم الاربعاء من اسبوع الفصح ثمانين سفينة في الميناء .

وكتب ابن جبر ايضا عن عكا وهى قاعدة مدن الافرنج ومحط الجواري المنشآت في البحر كالاعلام ، مرفا كل سفينة والمشبة في عظمتها بالقسطنطينية ، مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق ، سككها وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطىء الاقدام .

وتعاقب الايوبيون على القدس ومنهم الملك المعظم شرف الدين عيسى وولده الملك الناصر صلاح الدين داود الذي هاجمه عمه الملك الكامل واستولى على السلطة مكانه وهو الذي عقد هدنة مع الصليبيين لمدة عشر سنوات وخمسة اشهر واربعين يوما وقد نصت هده المعاهدة على ان ياخذ الصليبيون القدس من المسلمين فيبقوها على ماهي عليه من

خراب خلا الحرم القدسي ومافيه من مساجد كالصخرة والاقصى فانه بقى بيد المسلمين لايدخله الصليبيون الا للزيارة وتكون سائر قرى القدس لاحكم فيها لهم واما القرى الواقعة بين يافا وعكا وبين اللد والقدس فانها تبقى للصليبيين فانكر المسلمون على الملك الكامل هذه الاتفاقية واختلف الايوبيون بعد ذلك ، وكان الصليبيون يغتنمون هذه الفرص للاستعداد والانقضاض ، فحصنوا القدس تحصينا كاملا ولاسيما السور الذي ضربه الملك المعظم عيسى ولما بلغ الملك الناصر داود انتزع القدس منهم بعد حصارها واحدا وعشرين يوما ، وقام الصليبيون بعد ذلك بحملة جديدة لاسترجاع القدس من ايدي المسلمين وكان زعيم الحملة يومذاك «لويس التاسع» الذي تبادل مع الملك الصالح «نجم الدين» رسائل الانذار والتهديد ، ثم التقيا في ميادين القتال ودارت بينهما معارك حامية وكان ان مات الملك الصالح قبل انتهاء تلك المعارك الى نتيجة حاسمة فتولى الملك بعده ولده الملك المعظم «غياث تورانشاه» وقد اساء هذا معاملة الرعية وتخبط في ادارة البلاد فتآمر عليه المماليك وقتلوه وبموته انقرضت دولة بني ايوب .

القدس والمماليك

المماليك هم ارقاء الفاطميين ثم ارقاء الايوبيين اقاموا بعد قتل غياث الدين تورانشاه (شجرة الدر) ملكة عليهم كما اقاموا (عز الدين ايبك) قائدا للجيش وقد تزوج هذا من (شجرة الدر) بعد ذلك وتنازلت له عن الملك فاصبح مؤسس الدولة المملوكية الاولى ولقب بالملك المعز ثم قتل المعز بعد ذلك بسبع سنوات فتولى ابنه المنصور الملك وكان صغيرا وضعيفا فاستغل اهل الشام ضعفه واستولوا على القدس ودعوا فيها للملك المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن ايوب ثم عاد المصريون فتغلبوا عليهم واحتلوا القدس وخلعوا ملكها واقاموا مكانه الامير سيف الدين قطز المغري ولقبوه بالملك المظفر .

تنقسم دولة المماليك الى دولتين : المماليك البحرية والمماليك البرجيه .

اقاموا سلطانهم اولا في مصر وضموا سوريا اليها ولما اخرجوا الصليبيين اصبحت فلسطين وسوريا ولبنان ضمن امبراطوريتهم الواسعة بالاضافة الى ان المماليك حرروا فلسطين والبلاد الاخرى من الصليبيين ودفعوا الغزو المغولي عنها الذي بدأ بثلاث حملات كبيرة بقيادة «كتبغا» وغازان ، وتيمورلنك وكل هذه الحملات برا من الشمال فخربت

ودمرت وقتلت كثيرا من البشر في حلب وحمص ودمشق وغيرها وقد وصلت حملة منها الى فلسطين بقيادة «كتبغا» واشتبكت مع المماليك في عين جالوت ١٢٥٩ فانتصر قطز المملوكي على جيوش المغول انتصارا كبيرا، والمماليك البحريين والبرجين على السواء كانوا طبقة من السكان غرباء عن البلاد وظلوا غرباء عنها وقد احتفظوا بجميع الوظائف الحربية والادارية ولكنهم تركوا الوظائف الكتابية والدينية والقضاء لابناء البلاد. وكانوا يهتمون بالادارة اهتماماً فائقاً وكذلك بالبريد رغبة منهم في استطلاع اخبار مملكتهم الواسعة فكان هناك خط بريدي يصل القاهرة بدمشق عن طريق غزه وطولكرم ومرج ابن عامر وخان منيه وجسر بنات يعقوب كما انهم استعملوا الحمام الزاجل بين القاهرة ومراكز النيابات الشامية.

الا ان المماليك فرضوا الضرائب الثقيلة تعسفا وصادروا الاموال ظلما فاصاب الناس ضيق في مرافق الحياة ولكن من ناحية ثانية عوض البلاد ذلك النشاط التجاري الذي شهدته فلسطين في ايام الصليبيين فالمرافىء الفلسطينية انفتحت على المرافىء الاوروبية وتبادل التجار السلع والبضائع ولكن المؤسف ان المماليك الذين خشوا عودة الصليبيين دمروا بعض المرافىء مثل عكا وصور وصيدا على ان للماليك اثاراً عظيمة خلفوها هى: الابنية من مساجد ومدارس واضرحة

ومنازل وهي ايات فنية تخطيطا وبناء وزخرفة خارجية وداخلية وافضل ماخلفوه في القاهرة ودمشق وقد اصلح الملك الظاهر بيبرس قبة الصخرة والمدارس والزوايا التى تحيط بالحرم الشريف ويعزى إليهم اصلاح الحرم الابراهيمي في مدينة الخليل كما ان بيبرس نفسه بنى جسراً جميلا على مقربة من اللد .

القدس والعثمانيون

في سنة ١٥١٦م انتصر العثمانيون على المماليك في معركة (مرج دابق) على مقربة من حلب وبذلك تم لهم الاستيلاء على بلاد الشام وكانت القوات التركية بقيادة السلطان سليم وقوات المماليك بقيادة السلطان قانصوه الغوري ثم زحف الجيش التركي الى فلسطين فالتقى الجيشان الترك بقيادة سنان باشا والمماليك بقيادة (خيره باي وجان بردي الغزالي) فانكسر المماليك في هذه المعركة في موقع (اللجون) واحتل السلطان سليم القدس بدون مقاومة بعد انهزامهم .

وبعد ان فتح السلطان سليم مصر وأقام فيها عشرة اسابيع دبر خلالها شؤونها ووضع لها نظاما جعلها بموجبه ولاية من

ولايات السلطنة العثمانية - رجع الى سوريا مستصحبا معه اخر الخلفاء من بني عباس محمد المتوكل على الله الذي تخلى له عن الخلافة الدينيه وسلمه مفاتيح الحرمين فاصبحت القسطنطينية مقر الخلافة الاسلامية ولقب السلطان «بخادم الحرمين» واصبح الحاكم المطلق في تركيا ومصر والشام .

وبعد وفاة السلطان سليم خلفه ابنه السلطان سليمان الاول فتمت في عهده عمارة القدس وعمر بركة السلطان ورقم القلعة واحدث كثيرا من الاصلاحات كتعمير قبة الصخرة وانشاء مسجد فوق جبل الزيتون (الطور) كما انشأ التكية المعروفة بتكية خامكي سلطان في عقبة المفتي وفي عهده سكت نقود جديدة سميت باسمه (القطع السليمانية) والفضه السليمانية ، وعهد بحراسة طرق القدس الى آل ابي غوش .

ثم تولى السلطنة بعده ابنه السلطان سليم الثاني فالسلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني ، فالسلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث فالسلطان احمد الاول ابن محمد الثالث فالسلطان مصطفى الاول ابن محمد الثالث ، فالسلطان عثمان الثاني ابن احمد الاول ، فالسلطان مصطفى الاول ابن محمد الثالث للمرة الثانية ولم يرد مايذكر في فلسطين في عهودهم .

ثم تولى السلطنة ابراهيم ابن احمد الاول ثم ابنه السلطان محمد الرابع ويقول المؤرخ عارف العارف عثر في سجلات المحكمة الشرعية في القدس على بلاغ اصدره رئيس وزراء

السلطان محمد الرابع بتاريخ ١٠٨٤هـ ١٦٧٣م ومنه يفهم ان المملكة العثمانية اتسعت كثيرا بحيث اصبحت تضم بلاد الروم وطمشوار والبوسنه وسكتوار وبلاد الاناضول وقرمان وجميع ديار العرب والسكرو واقليم القرم وجزيرة كريت ورودس وقبرص وذي القدرية وشهر زود وديار بكر وحلب واورفه وقارص وارض الشام ودار السلام ودار الخلافة ببغداد وامد وكوفة وبصرة والحسا وسواكن الحبش ومصر دار العصر ودار الجهاد والجزائر وتونس وحلق الواد وطرابلس الغرب وسائر الممالك والبلدان وعلى الخصوص دار الامن والامان استانبول .

ثم جاء بعد السلطان محمد الرابع السلطان سليمان الثاني بن ابراهيم فاخوه السلطان احمد الثاني وبعض السلاطين وكان اخرهم السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث الذي جرت في عهده بعض الحوادث ومنها تسلم ولاية بيروت الى احمد باشا الجزار ١٧٧٦م الذي ماكاد يستقر فيها حتى اعلن العصيان ضد الدولة الا انه لم ينجح فخرج من بيروت مدحورا ولم تشأ الدولة ان تعاقبه بل رات من مصلحتها استرضاءه فجعلته وزيرا ووسعت سلطته حتى امتدت من الشام الى غزه وعريش مصر فاتخذ «نابليون» ذلك سببا لمهاجمة هذه البلاد .

وكان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قد برز على

المسرح الفلسطيني الشيخ ظاهر العمر الذي حكم شمالي فلسطين ١٧٧٥م فحصن عكاو اتفق مع على بك الكبير الثائر المصري الذي ثار على السلطنة العثمانية فاعلن استقلاله كما عقد الشيخ ظاهر معاهدة مع روسيا التى امدته بمساعدة بحرية وكان يطمع في ان يصبح سيد فلسطين ودمشق وما اليها ولكن حليفه على بك الكبير توفي كما ان روسيا عقدت معاهدة مع تركيا فقضى بذلك على اماله وتعقبته الدولة العثمانية فقتلته على مقربة من عكا فخلفه احمد باشا الجزار الذي اتخذ من المغامرين الذين وفدوا الى عكا في عهده جيشا قويا نشر بواسطته نفوذه على الجزء الجنوبي من الساحل اللبناني وعلى شمال فلسطين وفي ايامه هاجم (نابليون بونابرت) فلسطين فاحتل الاجزاء الساحلية من غزة وسار الى حيفا مرورا بيافا ولكنه اصطدم بعكا التى حصنها الجزار ورغم محاصرته لها شهرين لم يستطع احتلالها فرأى من الحكمة ان يعود الى مصر التى كان قد احتلها وقد بلغته اخبار مقلقة من «باريس» فغادر مصر نهائيا الى فرنسا .

القدس وابراهيم باشا

في النصف الاول من القرن التاسع عشر احتل محمد على باشا فلسطين بما في ذلك عكا التى حاصرها ابراهيم بن

محمد على باشا خمسة شهور وضربها بالمدافع الثقيلة الكثيرة العدد وبجيشه المدرب والممون تموينا كاملا فاحتلها وقد وقف الى جانبه الأمير بشير الشهابي الكبير . ومع ان ابراهيم باشا ادخل الامن والنظام الى فلسطين فانه زاد الضرائب وتشدد في جمعها كما انه فرض الجندية على اهلها كما فعل في لبنان وسوريا فقامت عليه ثورات في القدس والخليل والجليل كما قامت في لبنان وحوران فانتصر جيش محمد على [illegible] ش الدولة سنة ١٨٣٩ واتجه نحو استانبول ثاب[illegible]ت الدولة الاوروبية (بريطانيا وفرنسا والنمسا وروس[illegible]د على على الانسحاب واخيرا خرج المصريون من فلسطين سنة ١٨٤٠م فعادت الى الحكم العثماني .

كان ابراهيم باشا قد قضى على الزعامات المحلية في فلسطين فلما عادت تركيا استطاعت ان تبني على ماقام به فاصبحت فلسطين تدار ادارة منظمة في حين كان الزعماء الاقطاعيون يديرونها .

وفي هذا القرن التاسع عشر ميلادي كانت فلسطين توضع على خريطة المطامع الاوروبية من جديد فتدفق الحجاج والسياح والرحالة اليها بعد توقف ذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر لكن الاهتمام بهذه البلاد . من الناحية التجارية لم يتوقف فقد كان بين بريطانيا وفرنسا تنافس في

هذا المجال ، وبسبب المعاهدة التى عقدت بين فرنسا وتركيا سنة ١٩٣٥م كانت فرنسا تعتبر حامية الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية في الامبراطورية العثمانية وقد رجحت كفة الانكليز بعد خروج المصريين من فلسطين وبرز في هذا القرن وفي عهد المصريين ثلاثة امور :

اولا : مجيء المنظمات التبشيرية والتربوية والبعثات الطبية الى فلسطين .

ثانيا : انشاء المطرانية الانجيلية في القدس ١٨٤١م .

ثالثا : وفود عدد كبير من الحجاج من روسيا وقد انشئت لهم منازل للاقامة في كل من الناصره والقدس وبيت جالا والخليل .

ولما توحدت ألمانيا وإيطاليا صار لكل منهما مبشرون ومربون ومدارس ومنظمات في فلسطين وطالبت روسيا بحماية الطائفة الارثوذكسية فحصلت على ذلك .

اما من الناحية العسكرية فقد كانت فلسطين جزءا من القيادة العسكرية العامة لسوريا وفي اواخر العهد الحميدي كان الجيش الثامن هو الذي يشرف على سوريا وقائده برتبة مشير مركزه في دمشق ثم تبدل الوضع فاصبح الاشراف للفيلق «الرابع» وكان قائده برتبه فريق وكان القائد في متصرفيه القدس برتبة فريق ايضا لكن رئاسة الجند في نابلس وعكا كانت (لميرالاي) .

ومن الناحية القضائية كانت كل الاحكام تستأنف الى بيروت لكن في سنة ١٩٠٩ انشئت في القدس محكمة استئناف خاصة بمتصرفية القدس المستقلة كانت مرجعا استئنافيا لمحاكم البداية في لواء نابلس ايضا .

ولما اعلن الدستور سنة ١٨٧٦ واجريت الانتخابات النيابية كانت حصة فلسطين القدس وما اليها نائبا واحدا هو يوسف ضيا الخالدي الا ان الدستور علق حتى سنة ١٩٠٨، حيث جرت انتخابات اخرى ففازت القدس بعضوين : سعيد الحسيني ، وروحي الخالدي ، نائبين عن المنطقة .

في اواخر العهد العثماني شقت الطرق ، وانشئت طرق سكك الحديد كما شهدت البلاد عناية خاصة بالتعليم فانشأت المدارس الابتدائية والمتوسطة ، اما الثانوية فقد اقتصرت على مراكز الولايات ولم يكن في القدس واحدة منها . وكان سكان فلسطين يتكونون من ٩٥ بالمائة من العرب المسلمين والمسيحيين ، ونحو واحد بالمائة من الجاليات الاجنبية واربعة بالمائة من اليهود الاشكنازيين والسفارديين . وكان عدد كبير من زعماء فلسطين وشبابها المتعلم يعمل مع الجمعيات السرية بهدف اعطاء الولايات استقلالها الذاتي .



الفصـــل الرابع

- القدس والبريطانيون ..
- الحركة الصهيونية من وعد بلفور إلى سنة ١٩٦٧ .
- الاستنتاج .

القدس والبريطانيون ، الحركة الصهيونية
من وعد بلفور الى سنة ١٩٦٧ ، الاستنتاج

فكان في جمعيتي العهد والمنتدى الادبي فلسطينيون وكان لجمعية تركيا الفتاة اتباع في يافا ونابلس وقد شارك الفلسطينيون في المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٣ ومنهم عوني عبد الهادي ولما حاكم جمال باشا هؤلاء الزعماء اعدم جماعة منهم هم سليم عبد الهادي من جنين وعلى النشاشيبي من القدس ومحمد الشنطي من يافا .

ولما دخلت تركيا الحرب وضعت سوريا ولبنان تحت قيادة جمال باشا وكانت ثمة قيادة للالمان حلفاء العثمانيين مركزها الناصرة وقد قررت تركيا بضغط من المانيا مهاجمة مصر ووصلت الحملة قناة السويس في مطلع شباط ١٩١٥ ولكن بريطانيا حالت دون نجاح الحملة ووقع الجنود الاتراك اسرى في أيدي القيادة البريطانية وهكذا باءت حملة الترعة كما سميت بالفشل .

. القدس والبريطانيون

وبعد سنة هاجمت القوات البريطانية فلسطين ووصلت الى مشارف رفح ١٩١٧م ثم صدرت الاوامر للجيش بالتقدم

ولكن القوات العثمانية المتمركزة في غزه حالت دون تقدمه وظلت القوات البريطانية والعثمانية متقابلة من اذار الى تموز من السنة نفسها الى ان تولى ادمون اللنبي (بول ميري) قيادة القوات البريطانية فاحتلت قواته بئر السبع ثم غزه التى سقطت في تشرين الثاني وتبعتها يافا فعزلت بذلك قسما من الجيش التركي عن قسم اخر وسار اللنبي الى القدس فسلمها اليه رئيس البلدية حيث كان الاتراك قد انسحبوا منها في ٩ كانون اول ١٩١٧م ثم سقطت الاجزاء الشمالية من فلسطين وتفرق الجيش التركي وبذلك انتهى الحكم التركي في فلسطين بعد ان استمر فيها قرابة اربعة قرون كاملة .

من اثار الاتراك في القدس السور بشكله الحالي بناه الاتراك ، السكك الحديدية بين القدس ويافا ، الطرق والشوارع ، المستشفى البلدي على عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

الحركة الصهيونية

في هذه الحقبة من الدهر وابان الحكم العثماني وضع النواة الاولى للحركة الصهيونية الدكتور تيودور هرتزل (من يهود النمسا) على اساس افكار وعقائد يمكن ايجازها : بأن

المسألة اليهودية مسألة قومية وان هذه المسألة القومية لايمكن حلها الا عن طريق جعلها سياسية على صعيد العالم حيث عبر عن ذلك بقوله : «الدولة اليهودية ضرورة لابد منها للعالم لذلك سوف يتم خلقها ، وان الوحدة التاريخية للشعب اليهودي لا سبيل إلى إنكارها وان تحقيقها يعتمد بالدرجة الأولى على قوة اليهود الدافعة والمحركة وماهية تلك القوة ، وانه يجب النظر الى ظاهرة العداء للسامية من زاوية يهودية محضة حيث يعتبرها من القوى العاملة لمصلحة الدعوة الصهيونية وانه اي «هرتزل» يدرك اهمية فكرة الدولة وفعاليتها في نفوس اليهود فهي التى تشحذ هممهم وتمدهم بالقوة لتحقيقها وانه يمكن تحويل الحلم الى حقيقة وواقع حي» .

ولما أعلنت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤م وشعر الاتراك بخطورة الدعوة طاردوا الصهاينة فاصدر جمال باشا بوصفه القائد الاعلى للجيش الرابع المرابط في فلسطين امرا منع فيه رفع العلم الصهيوني في اية أرض تخضع لحكمه كما منع أية لافتة تكتب بالعبرية وصادر جميع الاوراق المالية والطوابع التى تخص الحركة الصهيونية والغى جميع المؤسسات اليهودية التي تكونت في فلسطين بعد ان دخلتها تسللا وجاء في البيان الذي صدر في ٢٥ كانون ثاني ١٩١٥ ان الحكومة انما فعلت ذلك بناء على مالديها من معلومات تثبت ان بعض

العناصر تآمر باسم الصهيونية لاقامة وطن قومي يهودي في فلسطين .

تزعم الحركة بعد موت «هرتزل» الدكتور حاييم وايزمن الذي بفضل نشاطه حصل على وعد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا وكان عدد اليهود في القدس في نهاية الانتداب البريطاني مائة الف وفي فلسطين كلها ستمائة الف وقد حملت الجمعية الصهيونية الدعوة الى القومية اليهودية القائمة على المغالطات والافتراءات على الواقع والتاريخ ولجأت الى الوساطات والرشوات كي تؤهل نفسها للمطالبة بفلسطين كوطن قومي لليهود بعد الفي سنة من خروجهم منها سواء بالهجرات المتواصلة ام بالسبي البابلي الذي انتهى الى عودة بعضهم وبقاء البعض الاخر حيث هو دون ان يؤدي بقاؤه الى بطلان يهوديته وام باقدام الرومان على سحق اليهود في فلسطين حيث غادرها الكثيرون منهم الى اماكن اخرى واتخذوها وطنا لهم .

قلنا ان الجمعية الصهيونية بدات تعمل لايجاد حل عصري للمسألة اليهودية كما قال «هرتزل» في كتابه «الدولة اليهودية» فعقدت اول مؤتمر لها في مدينة بازل بسويسرا ١٨٩٧م حضره ١٩٧ مندوبا عن جميع الهيآت والمنظمات والجمعيات اليهودية في العالم وفيه صدرت بعض المقررات لاتخاذ الوسائل الكافية لتحقيق هدفهم وصدرت بعض

المقررات منها :

١ – الدعوة الى عقد جمعية كبرى لليهود .

٢ – ايجاد صندوق لشراء الاراضي في فلسطين .

٣ – انشاء صندوق كامل لجباية الضرائب .

٤ – السعي لتعويم قرض قومي لليهود .

ونفذ الصهاينة هذه المقررات وفي المؤتمر السابع الذي عقدوه بعد وفاة «هرتزل» لم يلق اقتراح تأليف لجنة قيادية ثلاثية أى نجاح واستمر الصراع السياسي داخل المنظمة الصهيونية والاجهزة والمؤسات التابعة لها ولم تخف الا بعد استقالة «ولنسون» من الرئاسة سنة ١٩١١ وبقائه على رأس المصرف القومي اليهودي . وفي المؤتمر الثامن الذي عقد في لاهاي ١٩٠٧ وجدت المنظمة نفسها تتخذ القرار من جديد لمعاودة نشاطها الاستعماري بعمليات الإستيطان على نطاق واسع ومنظم وفي هذه الفترة استطاع «العمليون» من الصهاينة تحقيق كثير من المكاسب قبل صدور وعد بلفور وبداوا يشقون طريقهم داخل المنظمة نحو الاقدام على مباشرة الاستعمار المنظم تحت شعار التغلغل الاقتصادي المخطط له .

من وعد بلفور الى سنة ١٩٦٧

قلنا ان البريطانيين انهوا الحكم العثماني في فلسطين وفي عهدهم اتسع نشاط الحركة الصهيونية اذ وجدت فيهم المساعد والحليف بعد ان كان المؤتمر الصهيوني الحادي عشر في «فيينا» المنعقد قبل الحرب العالمية الاولى قد وصل الى نتيجة التوقعات التالية :

١ – ضرورة انتصار الحلفاء في الحرب .

٢ – وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني بعد انتهاء الحرب .

٣ – قيام الحكم المنتدب بتسهيل دخول مليون يهودي او اكثر الى فلسطين .

٤ – انهاء الانتداب بعد استتباب الامر لليهود في تلك البلاد .

وعلى هذا الاساس عمل وايزمن ومساعدوه فلقي استجابة من الحكومة البريطانية ودعماً من يهود اميركا وفي هذا الوقت صدر وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ بمثابة نتيجة لتلك الجهود المبنية على تلك التوقعات فأعلنت حكومة صاحب الجلالة في التصريح الذي جاء على صورة رسالة بعث بها «ارثور جيمس بلفور» وزير خارجية بريطانيا الى اللورد «رتشيلد» وهذا نصها :

«يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته

التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على اماني اليهود الصهيونية وقد عرض على الوزاره واقرته : ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن يضر الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الاخرى اكون ممتنا لو ابلغتم هذا التصريح الى الاتحاد القومي الصهيوني» .

ثم بعد هذا التصريح ونزولا عند رغبة اليهود بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني اقر مجلس عصبة الامم صك الانتداب في اليوم الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٢٢ . وفي سنة ١٩٣٠ نشرت حكومة الانتداب الكتاب الابيض وهو يشرح سياستها بهذا الشأن وكررت فيه ماأورده تشرشل عام ١٩٢٢ واكدت بان الطاقة الاستيعابية الاقتصادية للبلاد سوف تعتبر المعيار الذي يحدد الهجرة ويضبطها . وكان هذا مسايرة كاذبة للعرب الذين هبوا في جميع اقطارهم يحتجون على الوعد المشؤوم ويطلبون الغاءه في حين كانت فلسطين تغلي البركان قبل الانفجار . ولم يرض اليهود ماجاء في الكتاب الابيض فاحتجوا على ذلك ايضا معلنين انه لايتفق مع بنود صك الانتداب التى اعترفت بوكالة يهودية تتعامل

معها الحكومة المنتدبة في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامور التى تؤثر في انشاء الوطن القوميّ اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين .

وفي ١٤ شباط ١٩٣١ بعث رمزي ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية برسالة الى حايم وايزمان وهى التي سماها العرب الكتاب الاسود لانها جاءت تفسر سياسة الكتاب الابيض على نحو يلائم المطامع اليهودية عند ذلك لجأ العرب الفلسطينيون الى الثورة المسلحة لانتزاع حقوقهم واجبار السلطة المنتدبة على منع الهجرة اليهودية ومنع انتقال الاراضي العربية الى اليهود ، واستمرت الثورة مشتعلة من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٧ وهنا نستطيع القول بأنه يخطىء من يظن ان المقاومة الفلسطينية بدأت من هذا التاريخ او في فترة ماقبل الحرب العالمية الاولى فهي قد بدأت فعلا منذ زمن قديم يوم حاول اليهود دخول فلسطين بقيادة موسى ثم بقيادة «يوشع بن نون» واصطدموا بالعمالقة في اريحا الذين صدوهم يومذاك وقد تحدث القرآن الكريم عن موقف اليهود الجبناء . فقال : ﴿**قالوا ياموسى إنا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها**﴾ الى قوله : ﴿**فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون**﴾[1] وظلت المقاومة مستمرة على مراحل كلما حاول اليهود اغتنام الفرص وانشغال الكنعانيين بغزوات الطامعين في بلادهم الى

---

(١) المائدة : ٢٤ .

ان ظهرت الحركة الصهيونية واخذت تطالب صراحة بوطن قومي لليهود وتعقد المؤتمر تلو المؤتمر وتتحرك على كل صعيد لتحقيق اهدافها ومراميها وفي مرحلة الحرب العالمية أي في اواخر القرن التاسع عشر كانت فلسطين تحت الحكم العثماني وقد سارع دعاة الهجرة اليهودية الى الاتصال بالاستانة ووسطوا السفير الاميركي للخليفة وساعدهم الموظفون العثمانيون اليهود ولكن موقف العثمانيين بقى مصرا على منع انشاء الوطن القومي لليهود غير انهم سمحوا للحجاج اليهود على ان تكون الزيارة لمدة ثلاثين يوما ثم جددت ثلاثة اشهر بتدخل اجنبي وقد احتجت الدول الاجنبية على هذا الموقف المتشدد من اليهود ، غير ان الخلافات القائمة بين المتصرفين والولاة من جهة وقناصل الدول الاوروبية اتاحت لليهود التسلل الى فلسطين عن طريق الرشوات والوساطات وكان العرب ينظرون بكثير من الحذر والريبة الى اولئك الغرباء الوافدين الى ارضهم وبلادهم فتنادى وجهاء القدس واعيانها الى تنبيه السلطات العثمانية ورفعوا التماسا الى الاستانة ١٨٩٠ طلبوا فيه وضع حد لدخول المهاجرين اليهود وايقاف بيع الاراضي لهم فاستجابت السلطات لذلك واصدرت مرسوما يمنع بيع اراضي الدولة (الاميري) في فلسطين الى جميع اليهود دون استثناء الرعايا العثمانيين منهم ولم تجد محاولة اليهود العثمانيين

واحتجاجات الدول الاوروبية في وقف مفعول هذا المرسوم وتطبيقه ، وحين قيام الحركة الصهيونية عمدت السلطات العثمانية الى التشديد اكثر فغيرت الولاة واستبدلتهم بموظفين اكثر تشددا في فرض القيود الرسمية المتخذة وظلت الحال بين مد وجزر الى سنة ١٩٠٥ حين جاء وايزمان الى فلسطين سنة ١٩٠٧ بعد حضوره المؤتمر الصهيوني في لاهاي واجتمع الى مدير مصرف انجلو فلسطين في بيروت (فيكتور جاكويشر) الذي كتب في مذكراته بان الصهيونيين المقيمين في فلسطين لم يكونوا سوى مخالب القط التى استنجد بها النفوذ الاجنبي لتنفيذ مآربه وحماية مصالحه لقاء حمايته لهم وهذا ما ادى في نظره الى تصديع وحدة يهود فلسطين وتركهم فريسة الاطماع الاوروبية .

وحين قامت ثورة تركيا الفتاة تحمس اليهود المستوطنين لها واخذوا يطالبون بانتخاب من يمثلهم في البرلمان العثماني لعرض قضيتهم هناك ولكن سنة ١٩٠٨ شهدت تاسيس مكتب فلسطين اليهودي وفضحت الصحف العربية التواطؤ القائم بين اليهود وجماعة الاتحاد والترقي فوقف مبعوث القدس في المجلس العثماني يطالب بوقف الهجرة وساندته الصحف العربية وبرقيات الاحتجاج التى ارسلها العرب الفلسطينيون الى الاستانة ولكن ذلك كله لم يحل دون بيع مساحات شاسعة من اخصب الاراضي العربية الواقعة في مرج

ابن عامر لليهود ، وقد سعى اليهود الى التقرب من رجالات فلسطين واولى الرأي فيها تحت ستار «اقامة تحالف عربي صهيوني ضد العثمانيين» الا ان مساعيهم باءت بالفشل الذريع .

وفي سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور الذي اشرنا اليه ثم صدر صك الانتداب البريطاني وما ان وصل خبر وعد بلفور الى المنفيين الفلسطينيين الذين نفاهم الاتراك حتى بادروا الى ارسال المذكرة التالية الى هيئة مؤتمر السلم العام والى وزارة الخارجية البريطانية وهذا نصها :

البلاد بلادنا قديما وحديثا اقمنا فيها اكثر مما اقاموا وعمرناها اكثر مما عمروها ، وان علاقتنا التاريخية والدينية نحن المسلمين والمسيحيين اكثر من اليهود جدا فادعاؤهم الحقوق التاريخية القديمة في البلاد لاتكسبهم حق الاستقلال فيها كما وانه لايكسبنا نحن العرب هذا الادعاء حق العودة الى الاندلس وطننا القديم الذي حققنا فيه مجداً عظيما بثمانية قرون كان الرقي الاوروبي في العصر الحاضر من نتائجه لان ذلك طوت امره العصور واشار موقعو العريضة الى ان اليهود لايملكون اكثر من اثنين في المائة من الاراضي فهل يجوز هضم حقوق الاكثرية المطلقة من العرب ؟ لكن هذه الاحتجاجات لم تلق اذنا صاغية من احد فظهرت المقاومة الفلسطينية المسلحة خلال اضطرابات يافا سنة ١٩٢١

ودامت خمسة عشر يوما وامتدت الى المناطق المجاورة وقام رجالات فلسطين في دمشق بتدبير غارات مسلحة من الحدود السورية الفسطينية واشتبكت مع الصهاينة وادت الى قتل الزعيم الصهيوين المحارب (جوزيف ترمبلدور) ثم تألف المجلس الاعلى الفلسطيني سنة ١٩٢١ برئاسة الحاج امين الحسيني مفتي القدس ، وفي هذه الفترة اصبح الانتداب البريطاني ساري المفعول بعد ان وقعت عصبة الامم على بنوده وبعد ان وقعت تركيا الكمالية معاهدة الصلح مع الحلفاء التى تنازلت بموجبها عن جميع الاقطار التى كانت تابعة لامبراطوريتها والتى سارعت دولة الانتداب الى اقرارها واجازت فيها تصفية البنك الزراعي الذي كان الحكم العثماني قد انشأه لاقراض الفلاحين وتحسين احوالهم ، كما سارعت دولة الانتداب الى فرض الغرامات الباهظة التى اثقلت كاهل الفلاح الفلسطيني ، واصدرت قانون الجنسية الفلسطينية الذي حرم المهاجرين العرب من جنسيتهم ، في حين راح يمنحها لليهود القادمين من اقاصي الدنيا ، وفتح ابواب الهجرة على مصراعيها امام المهاجرين اليهود وسلط رؤوس اموال اليهود على الاهالي بالرغم من وجود بعض القوانين التى تضبط عملية الانتقال للمحافظة على حقوق العرب ، وهنا اخذت المقاومة العربية تشتد من خلال التظاهرات ومن خلال التأييد العربي المطلق فقامت حركة

الشباب الفلسطينيين وعقدت اول مؤتمر في يافا سنة ١٩٣٢ واصدرت توصيات تنبه العرب الى اخطار الاقتصاد الصهيوني ونزعته الى السيطرة واقامت لجان حراسة على السواحل والحدود وتبعه مؤتمر علماء فلسطين سنة ١٩٣٥ الذي أفتى بتحريم بيع الارض وتحريم التعامل مع سماسرة البيع من العرب والامتناع عن دفن موتاهم مما دفع الكثيرين من اصحاب الاراضي الى تسجيل اراضيهم كوقف عائلي بغية انقاذها من ايدي اليهود .

وظل الوضع كذلك يشتد ويتفاقم الى ان قامت ثورة سنة ١٩٣٦ على الانتداب والصهاينة فاعلنت السلطة المنتدبة قانون الدفاع ووضعت قانون الطوارىء موضع التنفيذ وكذلك منعت التجول ، واعلنت القدس الاضراب العام ولكن السلطة امعانا منها في تحدي الشعور العربي اعطت أربعة الآف خمسمائة مهاجر يهودي رخصة دخول الى فلسطين وبادر اليهود الى فتح معرضهم في اول ايار في مدينة تل ابيب وانتقد المندوب السامي البريطاني العرب واثنى على اليهود لاحتفاظهم بضبط النفس ، واخذ نطاق الاضراب يمتد ويتسع حتى شمل فلسطين كلها ، وخلال ١٩٣٧ صدر قرار تقسيم فلسطين الى دولتين يهودية وعربية وهب العرب مستنكرين وابرقت دولهم معلنة رفض التقسيم وعزمهم على مقاومته ، وحين اشتدت حركة المقاومة واصبحت فلسطين وسوريا

نقطتي الارتكاز لمركز المقاومة اخذت سلطات الانتداب تفكر في احكام سد الحدود بين فلسطين من جهة وبين كل من لبنان وسوريا وشرقي الاردن باقامة اسلاك شائكة وقلاع محصنة بالاضافة الى زرع غير أن هذه التدابير لم تفلح في التخفيف من حدة الثورة بفضل المساعدات العربية فكان صدور الكتاب الابيض كما قلنا معلنا سياسة الحكومة واعترافها المبدئي بحق فلسطين في الاستقلال وعدولها ولو مرحليا عن التقسيم بالاضافة الى تحديد الهجرة اليهودية بحيث لاتتعدى الـ ٧٥ الف مهاجر خلال الخمس سنوات المقبلة على ان تكون الهجرة اليهودية بعد ذلك التاريخ خاضعة للموافقة العربية وتنظيم مسألة انتقال الاراضي لليهود بحيث يسمح لهم بشراء الاراضي في مناطق معينة دون سواها . ولكن العرب رفضوا هذا الكتاب لعدم تحديده الفترة الانتقالية قبل الاستقلال بصورة قاطعة وتخويل المندوب السامي سلطة الاشراف على بيع وشراء الاراضي وكذلك سارع اليهود الى الاحتجاج عليه كما قدمنا فلجأوا الى العنف والارهاب في مقاومة الانتداب كما اتخذت المقاومة الفلسطينية منحى جديدا فتألفت القيادات التالية :

١ – قيادة جيش الجهاد المقدس تابعة للهيئة العربية العليا.

٢ – قيادة جيش الانقاذ المؤلف من المتطوعين

العرب .

٣ - قيادة الجيوش العربية التى دخلت الى فلسطين .

ودخلت هذه الجيوش فلسطين تباعا في الفترة الممتدة بين مطلع سنة ١٩٤٨ ، و ١٥/أيار ١٩٤٨ وهو تاريخ انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وكان قد سبق ذلك تحضيرات ومشاورات عربية وصدور ميثاق جامعة الدول العربية في ١٢/اذار ١٩٤٥ كما تطور الدفاع الصهيوني وقامت المنظمات التالية :

١ - الهاغانا .

٢ - عصابة الارغون .

٣ - عصابة شترن .

وعملت القوات العربية من المواقع القائمة داخل المناطق التى اعطاها مشروع التقسيم للدولة العربية باستثناء القوات الصغيرة منها المرابطة في حيفا وصفد وهاجمت مراكز مواصلات العدو ومستعمراته واشتبكت في معارك اشترك في احداها مالايقل عن لوائين من الهاغانا وبعد ان استشهد قائد قوات الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني وبعد مذبحة دير ياسين تولى فوزي القاوقجي - حتى دخول الجيوش النظامية العربية - قيادة جميع قوات الانقاذ ولكن السلاح تدفق على الصهاينة باموال يهود الولايات المتحدة فانتقلوا الى الهجوم وعمدوا الى استفراد الجبهات العربية الواحدة تلو الاخرى

فضربوا ضربتهم الأولى في هجومهم على طبريا حيث كان القوات البريطانية قد اجلت السكان العرب الذين كانوا يؤلفون ٤٧٪ من مجموع السكان تاركة المدينة لليهود ثم سقطت حيفا وانخفض سكانها العرب بفعل النزوح من ٥٠ الفا الى نحو ٨ الى عشرة الاف من السكان وسقطت يافا بنفس الطريقة اما القدس فقد اوصل الصهاينة المؤن الى القطاع اليهودي فيها بعد استيلاء الهاغانا على القسطل ثم اعلنت الجامعة العربية قبولها بوقف اطلاق النار في القدس وضواحيها في حين اعتصمت الوكالة اليهودية بالصمت وما ان تم انزال الاعلام البريطانية عن المباني الرسمية في القدس صبيحة الرابع عشر من ايار سنة ١٩٤٨ حتى تغلبت قوات الهاغانا والارغون على المقاومة العربية في عدد من المواقع المهمة في المدينة وفي اليوم نفسه اعلن بن غوريون قيام الدولة اليهودية في فلسطين دون ذكر لحدودها وفي اكتوبر سنة ١٩٤٨ احتلت القوات اليهودية النقب والجليل والعقبة والمثلث الصغير وفي سنة ١٩٥٤ تم توقيع اتفاق الجلاء البريطاني عن مصر وعن قناة السويس واخذ الصهاينة يستعدون لتحقيق المزيد من اطماعهم وبدأوا يشنون هجماتهم على قطاع غزة ووجدت حكومة الثورة في مصر انها باتت مرغمة على انشاء وحدات من الفدائيين الفلسطينيين لمجابهة التعديات الاسرائيلية المتكررة وفي ٢١ ايلول ١٩٥٤

اجتاحت القوات الاسرائيلية مثلث العوجه في المنطقة المجردة من السلاح واحتلته ورفضت جميع المطالب التى تقدم بها مجلس الامن ومراقبو الهدنة للانسحاب متذرعة بان هذه الارض جزء من اسرائيل .

وقد بلغت الاحداث ذروتها قبل العدوان الثلاثي على سيناء والسويس عندما اعلن ناظر الخارجية الاميركية سحب القروض التى وعد بها البنك الدولي لتمويل مشروع السد العالي في مصر فجاء الرد المصري بتأميم قناة السويس وقبل سنة ١٩٥٦ كان التخطيط قد جرى لحرب السويس مع الصهاينة وبريطانيا وفرنسا لاعتبارات منها : المطامع الصهيونية التى تغذيها الاحلام التوسعية بحافز ديني تاريخي كما يزعم قادة الصهاينة لارتباط شبه جزيرة سيناء بتاريخ العبرانيين القدامى ومنها ابعاد المصريين عن حدود اسرائيل وكان من نتيجة العدوان الثلاثي على مصر توثيق العلاقات بين الدول العربية والدول الافرو - اسيوية التى وقفت في وجه هذا العدوان وصدور قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن الدولي التى تؤكد ضرورة انسحاب القوات المعتدية وازدياد شعور القادة العرب بالمسؤولية الملقاة على كل منهم وتتابعت الاحداث بعد ذلك فكانت احداث لبنان عام ١٩٥٨ وثورة العراق عام ١٩٥٨ ، وقيام الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨ ونشؤ اول حركة مقاومة فلسطينية

في غزة بعد سنة ١٩٤٨ كما كان من نتيجتها قيام مؤتمرات القمة بين الملوك والرؤساء العرب وظهور المقاومة الفلسطينية في مطلع كانون الثاني ١٩٦٥ (الفدائيين) وفي ضبيحة الخامس من حزيران ١٩٦٧ شنت اسرائيل عدوانا جديدا على البلاد العربية فاحتلت ماتبقى من فلسطين (قطاع غزة) والضفة الغربية وجزءا من الجمهورية العربية المتحدة (سيناء) وجزءا من سوريا هو الجولان ، ثم اعيدت سيناء الى مصر بعد اتفاق «كامب دايفيد» الذي جرى بين قادة اسرائيل وحاكم مصر (انور السادات) باشراف الولايات المتحدة الاميركية وبقيت غزه والضفة الغربية والجولان وجزء من جنوبي لبنان كانت قد احتلته اسرائيل عام ١٩٨٨ ، بقيت جميعها تحت الاحتلال الاسرائيلي ولاتزال حتى الآن .

الاستنتـــاج

لقد كانت الغاية من سرد تاريخ القدس بايجاز اسقاط الحجة التاريخية بالوقائع التى تكشف الحقائق التالية :

اولا : ان اليهود ليسوا اصحاب الارض الفلسطينية اصلاً ولم يكونوا ولدوا فيها .

ثانيا : لم يكن وجودهم في فلسطين متصلا بل متقطعا ، ولم يستقروا فيها الا في عهدي داوود وسليمان ثم انقرضت مملكة اسرائيل عام ٧٢٢ قم ومملكة يهوذا عام ٥٨٦ قم . وتشتت اليهود في جميع انحاء الارض ، في سوريا وآسيا الصغرى وفي مصر وطرابلس الغرب وجزر الارخبيل وايطاليا واليونان والغال وغيرها ثم جاءت الضربتان الموجعتان لمن عاد منهم الى فلسطين على يد القائدين الرومانيين طيطوس عام ٧٠م وادريانوس عام ١٣٥ ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة في فلسطين يقول السائح اليهودي (بتاحيا) انه زار القدس خلال القرن الثالث عشر للميلاد فلم يجد فيها سوى يهودي واحد كما زارها (موسى بن نحمان جيروندي) بعد سنتين فلم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين ، كما ان المجلس الشرعي الاسلامي في القدس احصى اليهود عام ١٥٧٢ فوجد في القدس مائة وخمسة عشر يهوديا ولم يكن عددهم بعد ست سنوات من هذا الاحصاء سوى مائة وخمسين يهوديا فقط عام ١٥٧٨[٢] .

ثالثاً : ان استقرار اليهود اربعة قرون في فلسطين في العهدين المذكورين آنفا وبعد انفصال دام ستة وعشرين قرنا لايعطيهم حق امتلاكها كما لاتعطي ثمانية قرون للعرب حق امتلاك الاندلس .

---

(٢) انظر المفصل بتاريخ القدس لعارف العارف ص ٥٤٦ .

رابعا : ان اليهود كما سبق لايشكلون امة لعدم وجود العناصر التى تكون الامة بحكم وجودهم كمواطنين في اوطان مختلفة .

خامساً : ان اليهود حرفوا التوراة واخترعوا (يهوه) ليقول بلسانهم مالم يقله وذلك بالادلة القاطعة التالية :

(أ) بحذف اسم اسماعيل من نسل ابراهيم .

(ب) بتوسيع خريطة العدوان فقد كان الوعد المزعوم «هذه الأرض» ثم توسع على مدى سبعة قرون ليطال النيل والفرات وقسماً من سوريا ولبنان والتحريف ليس غريبا عن اليهود الذين كانوا قبل سنة ١٩٤٨ يزورون «جبل الشيخ» في لبنان مزودين بالأزاميل والمطارق ليحفروا على صخوره تواريخ وأمثال عبرية تمكنهم مستقبلا من الادعاء بملكية «حرمون» كما تسميه التوراة .

(ج) ظهور «يهوه» كإله شرير سفاح متعطش للدماء مبيح للسرقة والموبقات كما يظهر في معظم أسفار التوراة وهذا يتنافى مع رسالة الإله التي هي الخير والمحبة للناس أجمعين .

(د) إن اليهود نتيجة لذلك مغتصبون إغتصبوا فلسطين قديماً بالنزوح إليها والتوسع على حساب أهلها . ثم اغتصبوها حديثاً بالقوة وبمساعدة البريطانيين والأمريكيين وغيرهم وعلينا أن نطردهم منها بالقوة إذا عجزت هيئة الأمم عن

إخضاعهم للحق والقانون الدولي .

الفصـــل الخامس
الأماكن المقدسة بالنسبة لليهود

الاماكن المقدسة بالنسبة لليهود

لقد ذكر بعض المؤرخين ان لليهود اماكن مقدسة في فلسطين كما ذكر تحت هذا العنوان عددا من المقابر والمدارس والارساليات للمسيحيين واليهود والمسلمين على السواء وانا اخالفهم في ذلك فاليهود ليس لهم مقدسات للاسباب التالية :

اولا : ذكرنا حصيلة الاستنتاج ان اليهود مغتصبون كما ثبت من خلال مناقشة الحجة الدينية والسرد التاريخي ، فكيف نوفق بين القداسة والاغتصاب ؟ ان اول حقيقة نقررها في هذا الصدد هى انه لاقداسة مع الاغتصاب وقد يقول معترض : كذلك فان المسلمين ايضا مغتصبون لا مقدسات لهم في فلسطين ، والرد على ذلك بأن المسلمين الذين جاءوا الى القدس هم عرب جاءوا الى عرب مثلهم انحدروا من سلالة عربية هاجرت عبر التاريخ من الجزيرة العربية الى فلسطين وغيرها من الاقطار المجاورة في حين ان اليهود غرباء ودخلاء عليها . وقد افتى فقهاء المسلمين بعدم جواز الصلاة في مسجد مغتصب وهذا ينفي عن معابد وآثار اليهود القداسة ماداموا قد اقاموا مقدساتهم على ارض مغتصبة وهنا قد يقول معترض آخر بأن هناك معابد اغتصبت اثناء الفتح الاسلامي وحولت الى مساجد فما رأي الفقهاء في ذلك ؟

والجواب : ان المسلمين لم يسلبوا النصارى أية كنيسة من كنائسهم اثناء الفتح الاسلامي وان (العهدة العمرية) التى اعطاها عمر بن الخطاب الى نصاري (ايلياء) تؤكد ذلك ، وقد عرض المسلمون اعادة الاراضي المحتلة الى اصحابها في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أمر برد كل مااغتصبه الأمويون في فتوحاتهم عملاً بقول النبي ﷺ : «من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع ارضين»[1] ونضرب على ذلك مثلا (المسجد الاموي) في دمشق فقد كان هذا المسجد معبدا وثنيا ثم اصبح معبدا يهوديا ، في عهد يحيى ابن زكريا[2] ثم صار الى كنيسة ولما فتح المسلمون دمشق كانوا يصلون في القسم الذي احتلوه منها حربا وبقى القسم الاخر كنيسة يصلي فيها المسيحيون ، ولم يزالوا كذلك حتى ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة فبعث الى النصاري يقول : اعطونا نصف الكنيسة الذي بأيديكم ونحن نبني لكم كنيسة حيث شئتم من دمشق فأبوا عليه فقال لهم : أئتونا بالعهد (عهد المصالحة) فأتو به فقال لهم : قد رضيتم به فأنا اسجل البعض عليكم فاذا كنيسة كذا وكنيسة كذا وكنيسة كذا - فرضوا بأن اعطوا الكنيسة واعطاهم الوليد مكانها الكنيسة

(١) عن عائشة رضى الله عنها (متفق عليه) .

(٢) انظر كتاب (مدينة دمشق) لصلاح المنجد ، دار الكتاب الجديد ، طبعة اولى ١٩٦٧ ص ٤ - ٩١ .

التى تعرف بحمام القاسمة بحذاء دار أم البنين في الفراديس فهى تسمى «يوحنا» .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة رفع النصارى اليه ماأخذوا عليه العهد في كنائسهم من انها لا تهدم ولا تغلق وجاءوا اليه فكلمهم عمر ودفع لهم ثمنا بلغ مائة الف دينار فأبوا فكتب عمر الى محمد بن سويد النهري ان يدفع اليهم كنيستهم الا ان يرضوا برضائهم فأعظمه وأعظم ذلك الناس وفيهم يومئذ بقية من اهل الفقه فشاورهم محمد بن سويد فقال رجل منهم : هذا امر عظيم ندفع اليهم مسجدنا وقد أدينا فيه الصلاة وجمعنا فيه[٣] ثم يهدم ويعاد كنيسة ؟ ونتيجة لذلك جرت مفاوضات بين المسلمين والمسيحيين ادت الى مصالحة بين الطرفين وتنازل المسيحيون عن كنيستهم التى اصبحت مسجدا لقاء التعهد بأمان جميع كنائسهم فكتب محمد بن سويد الى الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك ففرح وسجل للمسيحيين سجلا بجميع كنائسهم التى هى خارج مسجد دمشق والغوطة[٤] .

ثم اني اخالفهم في وضع المقابر والمدارس وسواها تحت عنوان الاماكن المقدسة ذلك لأن تحديد مايأخذ صفة

---

(٣) اي صلينا الجُمع .

(٤) راجع تهذيب تاريخ دمشق الكبير للامام الحافظ المؤرخ ثقة الدين ابو القاسم على بن الحسن المعروف بابن عساكر ، تحقيق الشيخ عبد القادر بدران - دار المسيرة طبعة ثانية ١٩٧٩ جـ ١ ص ٢٠٠ - ٢١٠ .

القداسة هو ماكان متصلا بعقيدة او مكانا للعبادة أو قبرا او بيتا لنبي او اشارات احدى الكتب السماوية الى قداسته واستنادا الى هذا التحديد فان القبور والمدارس وسواها التى لاتندرج تحته انما تعتبر اثارا وتندرج تحت عنوان (الآثار) .

وعلى هذا الاساس نضع الاماكن اليهودية التى اعتبرها بعض المؤرخين مقدسة قيد المناقشة فنرى :

اولا : ان المقبرة التى يدفنَ فيها اليهود موتاهم حتى تاريخ ١٩٤٧ الواقعة على طريق القدس اريحا ، هذه المقبرة هى اوقاف اسلامية اذن لهم المسلمون باستعمالها لقاء مبلغ معين من المال يدفعونه في كل سنة لمتولى الوقف وقد جاء في سجل المحكمة الشرعية في القدس[٥] ان ممثل الطائفة اليهودية دفع للمتولي بحضور القاضي الشرعي مبلغ مائتي دينار ذهبا لقاء هذا الاستعمال عن سنتي : ١٥٦٠ و ١٥٦١م فأين القداسة في هذا ؟ .

ثانيا : قبر «أبشالوم» وهو ابن الملك داوود الذي اسقط والده عن عرشه بالتأمر ضده يوم ان أحصى اليهود كما سبق واعتبر اليهود ذلك مخالفة للدين لأن الله يعلم عددهم فأين القداسة في قبر ولد طرد والده واغتصب عرشه ؟ هذا بالاضافة الى ان احد المؤرخين (قوندر) يعتقد ان الكسندر

---

(٥) سجل المحكمة الشرعية بالقدس عدد ٤٤ ص ٥٧٤ كما اطلع عليه المؤرخ عارف العارف .

يانوس المكابي مدفون فيه .

ثالثا : قبر يعقوب وهو قبر ضخم (يعتقد المسيحيون ان القديس يعقوب الصغير وهو احد الاثنى عشر رسولا قد توارى فيه بعد صلب المسيح (كما يزعمون) ويقول بعضهم : انه بعد موته دفن فيه فمن اين جاءته القداسة وهو قبر تختلف حوله الاقوال والروايات ؟

رابعا : قبر زكريا - مختلف فيه ايضا ، فيقول بعض اليهود انه قبر زكريا بن يهويا راع ويقول بعضهم : انه قبر حفيده الذي كان هنا ايام آحازيا ويهواش وقد مات رجما بالحجارة وبأمر من الملك فكيف تكون القداسة صفة له مادام المدفون فيه مشكوكا فيه من اليهود انفسهم ؟

خامسا : حائط المبكي الذي يزعم اليهود بأنه بقية من الحائط الخارجي للهيكل الذي دمره اوريانوس عام ١٣٥م في حين اثبت التحقيق انه جزء من جدار الحرم الشريف وفقا للتقرير الذي وضعته (لجنة البراق الدولية) التى شكلت بقرار من (مجلس عصبة الامم) في ١٤ كانون الثاني ١٩٣٠ على اثر الثورة المعروفة بثورة البراق عام ١٩٢٩ وهذا نص التقرير :

«للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه جزءا لايتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هي من املاك الوقف وللمسلمين ايضا تعود

ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وامام المحلة المعروفة (بحارة المغاربة) المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب احكام الشرع الاسلامي لجهات البر والخير[٦] .

هذا الحائط يزوره اليهود ولاسيما في التاسع من آب كل سنة وكلما زاروه تذكروا امجادهم الضائعة وبكوا وقد كان الاتفاق بينهم وبين المسلمين : انه ليس لليهود سوى الدنو من الحائط على ان لايحملوا معهم كرسيا للجلوس او اي شيء من ادوات العبادة فأين القداسة في حائط تحول الى ذكرى سياسية مادام انه لم يبق للهيكل أي وجود ؟ .

سادسا : الكنيس (جمع كنيست) وهو المكان الذي يتعبد فيه اليهود ويوجد لهم خمسة عشر كنيسا تندرج جميعها تحت قاعدة (لاقداسة مع الاغتصاب) .

والملاحظ انه ليس لليهود اثار تاريخية كثيرة في الاراضي الفلسطينية كما يقول الاستاذ عارف العارف[٧] وذلك يعود الى عدم استقرارهم فيها ومطاردتهم بصورة دائمة من قبل اصحاب الارض او الغزاة الطامعين فيها وقد مر معنا كيف كانوا يسبون ويقتلون ويطرودن حتى حقت عليهم نبوءة ارمياء القائل : الذين للموت فالى الموت والذين للسيف فالى

---

(٦) انظر كتاب (جريمة اليهود النكراء احراق المسجد الاقصى المبارك (اصدرته الهيئة العربية العليا لفلسطين - بيروت ١٩٦٩) .

(٧) انظر الفصل في تاريخ القدس لعارف العارف ص ٥٤٥ و ٥٤٦ .

السيف والذين للجوع فالى الجوع والذين للسبي فالى السبي

ويقول المؤرخ عارف المذكور تحت عنوان (القدس كما رأيتها عام ١٩٤٧) ان سكان فلسطين من اليهود في عام ١٩٤٦ بلغ ستمائة وثمانية الاف ومائتين وخمسة وعشرين يهوديا[٨] .

الاماكن المقدسة الاسلامية

أولا : المسجد الاقصى :

للمسجد الاقصى مكانة عظيمة عند المسلمين اهمها :

انه اولى القبلتين : اتخذ المسلمون بيت المقدس قبلة لهم في بدء الاسلام اثناء هجرتهم الى المدينة المنورة حيث كانوا يولون وجوههم في الصلاة نحوه واستمروا في ذلك نحو سبعة عشر شهرا الى ان نزل قوله تعالى على النبي ﷺ : **﴿وماجعلنا القبلة التى كانت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم ، قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة**

---

(٨) المرجع نفسه ص ٤٣٠ .

ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾[9] .

وانه ثالث الحرمين : حيث يأتي في الدرجة الثالثة من حيث القداسة والتعظيم عند المسلمين بعد المسجد الحرام في مكه ومسجد الرسول في المدينة وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ انه قال : «لاتشد الرحال الا الى ثلاث السمجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى»[10] .

وانه موضع الاسراء : فقد اسرى الله سبحانه بالنبي ﷺ من مكة الى بيت المقدس ، قال تعالى : **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾**[11] .

ان المسجد الاقصى يطلق على المسجد القائم في الناحية القبلية من الحرم وعلى بعد خمسمائة متر بوجه التقريب من مسجد الصخرة الى الجنوب وقد بناه عبد الملك بن مروان سنة ٧٤هـ ٦٩٣م مع اختلاف في التاريخ فالسيوطي والمقدسي يقولان انه بناه ٦٩١م ولايوجد خلاف على ان

---

(٩) البقرة : ١٤٣ – ١٤٤ .

(١٠) من حديث ابي هريرة وابي سعيد (متفق عليه) .

(١١) الاسراء : ١ .

الذي بناه هو عبد الملك بن مروان هذا مانعرفه عن المسجد الاقصى الحالي اما المسجد الاقصى الاول الاساسي فقد بناه عمر بن الخطاب يوم فتح القدس سنة ١٥هـ ٦٣٦م وانه كان في نفس الموضع الذي يقوم عليه المسجد الحالي .

المسجد الاقصى كما رآه عارف العارف ١٩٥٨

طوله من الداخل ثمانون مترا وعرضه خمسة وخمسون مترا ، ويمتد من القبلة الى الشمال في سبعة اكوار مرفوعة على ثلاثة وخمسين عمودا من الرخام : منها ١٤ في الرواق الاوسط ، و ١٢ في الاروقة الثلاثة الشرقية ، و ٨ تحت القبة ، و ١١ في جناح القبة من الشرق ، و ٧ في جناحها من الغرب وواحد في مقام الاربعين .

كما يوجد ٤٩ ساريه من الحجارة منها ٤ تحت القبة و ١٢ في الرواق الغربي و ٤ في الرواق الشرقي و ٣ في جناح القبة من الغرب والباقيات متفرقات وهذه السواري ضخمة ومربعة الشكل واما الاعمدة فانها مصنوعة من الرخام المختلف الالوان وارتفاعها خمسة امتار وقطرها في قسمها الاعلى ٤٣ سم ، والاسفل ٥٢ سم ويتراوح ارتفاع قواعدها وتيجانها بين ٥٥ و ٦٥ سم والاعمدة معرقة تعريقا جميلا للغاية وفوق الاعمدة اقواس تتراوح فتحاتها بين ٨ر٩١ و ٩ر١٧ مترا وارتفاعها من اعلى المشدات ٢٦ و ٦ أمتار

والمشدات التى تشد الاعمدة بعضها الى بعض مصنوعة من النحاس المطلي بالذهب . والمسجد عبارة عن سبعة اروقة ثلاثة من الشرق ، واخرى مثلها من الغرب وواحد منها في الوسط ، والرواق الاوسط واسع ومرتفع ، سقفه من الخشب ركب بشكل افقي وزخرف باوراق الذهب عيار ٢٠ قيراطا وهو الذي تولت الحكومة المصرية تجديده سنة ١٩٤٣م . فوق السقف الخشبي جسر حديد وفوق الحديد خشب تكسوه صفائح الرصاص وفي الصدر قبه مصنوعة من الخشب ومزينة بالفصوص الذهبية الملونة «الفسيفساء» وفيها النقوش والرسوم والكتابات العربية الجميلة ، والمسافة بين ارض المسجد واعلى نقطة في القبة من الداخل ١٧ مترا و ٧٠ سم ، واما القشرة الخارجية للقبة فانها عبارة عن الواح خشبية مصفحة من الخارج بالرصاص ، وتقوم القبة على اربعة اقواس يرتكز كل ركن من اركانها الاربعة على عمودين من رخام واسطوانه مربعة مكسوة بالرخام وهذه الاعمدة الثمانية والاسطوانات الاربع حديثة العهد هى التى وضعها المجلس الاسلامي الاعلى سنة ١٩٢٧م وهناك تحت القبة وفي اقصى المسجد من القبله محراب كبير كانوا يسمونه فيما مضى محراب داوود وصاروا يسمونه محراب عمر وهو الذي جدد بناءه (صلاح الدين) وهناك على يمين المحراب المنبر الجميل المصنوع من الخشب المنقور والمرصع بالعاج

والأبنوس وحول المحراب ـــ كتبت الآيتان : ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا**﴾* و ﴿**وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا**﴾[١٢] وقد كتبتا بالخط الكوفي الأسود على أرض نقشت بالفسيفساء المذهبة .

ويقابل المنبر دكة المؤذنين وارتفاعها ثلاثة أمتار وهي قائمة على أربعة عشر عمودا من الأعمدة الرخامية الرفيعة وفي صدر المسجد محراب معاوية وفي داخله عند زاويته القبلية الشرقية جامع متصل به يسمونه (جامع عمر) وهو مستطيل الشكل طوله ثلاثون مترا وعرضه ثمانية امتار وفيه محراب صغير وحول المحراب اربعة اعمدة صغيرة اثنان منها ملتويان والى الشمال من جامع عمر ايوان كبير يسمونه (مقام عزيز) ويسمونه ايضا مقام الاربعين فيه محراب وعلى حائطه سورة الاسراء من اولها الى قوله تعالى : ﴿**وجعلناكم أكثر نفيرا**﴾* طول هذا المقام تسعة امتار وعرضه ٨ امتار وجدرانه مكسوة بالرخام والى الشمال من مقام عزيز ايوان صغير جميل فيه (محراب زكريا) وقد كتبت على جدرانه الآيات التالية :

---

* الاسراء آية ١ .

(١٢) الاسراء : ٢ .

* الاسراء آية ٦ .

﴿**بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا**﴾ الى قوله تعالى ﴿**فهب لي من لدنك وَليا**﴾(١٣) .

وهناك في الجانب الغربي الى القبلة جامع اخر يسمونه جامع النساء وهو من اثار الصليبيين كما يقول (عاي لوستر بنج) .

ثانيا : مسجد الصخرة

بناه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات بدأ في بنائه سنة ٦٨٥م وانتهى سنة ٦٩١م وبقي من المبالغ المخصصة لبنائه مائة الف دينار امر عبد الملك بها كجائزة للرجلين اللذين اشرفا على بنائه فرفضا الجائزة قائلين : نحن اولى ان نزيد المسجد من حلي نسائنا فضلا عن اموالنا فاصرفها في احب الاشياء عليك فامر عبد الملك بان تسبك وتفرغ على القبة والابواب .

ان مسجد الصخرة بقبته الجميلة وبنائه المتين وتكوينه الرائع جاء آية في الهندسة لا في العصر الذي بني فيه بل على مر العصور والايام فقد بهرت قبته ببهائها ورونقها وتناسقها كل من رآها وكذلك قل عن جدرانه وسقوفه واعمدته ونقوشه، وفسيفسائه وهندسته العربية الممزوجة بشيء من

(١٣) مريم : ١ - ٥ .

الهندسة الفارسية والاسلوب البيزنطي حيث اشترك في بنائه عمال وصناع من العرب والفرس والروم .

تحت القبة وفي وسطه تقوم الصخرة وهي عبارة عن قطعة ضخمة من الصخر غير منظمة الشكل كانت فيما مضى كقمة للجبل المعروف بموريا طولها من الشمال الى الغرب ١٧ مترا و ٧٠ سم وعرضها من الشرق الى الغرب ١٣ مترا و ٥٠ سم واعلى نقطة فيها مرتفعة عن سطح المسجد زهاء متر ونصف المتر وحولها «داربزون» من الخشب المنقوش وضعها الملك العزيز عثمان من بني ايوب وحول «الدرابزون» مصلى للنساء له اربعة ابواب يفصل بينه وبين مصلى الرجال سياج من حديد مشبك هو الذي بناه الصليبيون والسؤال الذي يخطر على البال هو لماذا اختار عبد الملك بن مروان موضع الصخرة هذه فبنى فوقه المسجد ؟ الأنها مقدسة ؟ ومن اين جاءت هذه القدسية ؟ .

قيل ان ملكي صادق ملك اليبوسيين كان كثير التردد الى هذه الصخرة وانه كان يتقرب عليها بقرابينه الى ربه وان جد الانبياء ابراهيم الخليل قدم ولده اسماعيل ضحية على هذه الصخرة ، وعليها كلم الله يعقوب واسماها باب السماء وهناك بني سليمان هيكله وهناك كانت تذبح القرابين ، وفي هذا المكان كان الرومان يسبحون بحمد آلهتهم ولما دمر ادريانوس اورشليم وخرب الهيكل نصب في ذلك الموضع

الاصنام وظلت تلك الاصنام قائمة الى ان جاءت الملكة هيلانه ام الملك قسطنطين فهدمت كل ماكان على الصخرة وجعلتها موضعا للقمامة ولما فتح المسلمون ايلياء على يد عمر بن الخطاب رضى الله ازال بيده القمامة عن الصخرة وبنى في تلك البقعة مسجدا من خشب وان المسلمين يعتقدون ان النبي محمدا ﷺ عرج منها الى السماء ومن هنا جاءت الاحاديث التي تشير الى قدسيتها فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : «صخرة بيت المقدس من صخور الجنة» ويقول ابن تيمية : اما الصخرة فلم يصل عندها عمر ولا الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن لها في عهد الخلفاء الراشدين قبه بل كانت مكشوفة في عهد عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان والذي بنى القبة هو عبد الملك بن مروان وانه فعل ذلك ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس واضاف واما اهل العلم من الصحابة والتابعين فلم يكونوا يعظّمون الصخرة فانها قبلة منسوخة .

ثالثا : مقام إبراهيم الخليل

يقع الحرم الابراهيمي الشريف في الركن الجنوبي الشرقي من مدينة الخليل الحديثة التى انتشرت ابنيتها في الناحيتين الشمالية والغربية اما في القديم فقد كان الحرم يتوسط المدينة .

بني حير[١٤] الحرم الشريف بحجارة ضخمة يصل طول البعض منها الى مايزيد على السبعة امتار بارتفاع يزيد عن المتر وهى من الصخر المزي الصلب قطعت وصقلت بدقة متناهية ثم رصت في البناء بعناية ومهارة فائقين من غير مؤونة بضغط الهواء وتفريغه على طريقة بناء الحجرات الملكية في الاهرامات المصرية ويصل ارتفاع البناء في بعض الاماكن مايزيد على الخمسة عشر مترا وتعلو الحير مئذنتين بأربعة أضلع إحداهما تقوم على الركن الجنوبي الشرقي والاخرى على الركن الشمالي الغربي اما داخل الحير فيرى الرائي مشاهد علوية لاضرحة الانبياء وازواجهم جعلت دليلا على امكنة اضرحتهم في الغار الشريف الموصد من زمن لايعلمه الا الله وكل مشهد ضريح بني قبالته مشهد ضريح زوجته بحيث تكون اضرحة الانبياء على يمين المستقبل القبلة واضرحة الازواج على يساره حين يقوم امام المحراب في الجامع .

وتقسم الابنية في الداخل الى ثلاثة أقسام : الجامع في الجهة القبلية من قلب الحير ويتكون سقفه من ثلاثة كور الوسطى التى تعلو الكورتين المحاذيتين لها شرقا وغربا وكلها

---

(١٤) كلمة عربية تدل في الاصل على التجمع والدوران فقولك : تحير الماء اذا تجمع ودار ومن ذلك : الحائر اي حوض الماء ومنه الحير شبه الحظيرة والحمى وسمي السور حول الحرم بهذا الاسم لانه حمى لمكان محرم .

تقوم على اعمدة ضخمة مرتفعة وفي غاية الاتقان والابداع ومقام النبي يعقوب وزوجته ويقع في الناحية الشمالية من باحة الحير ، ومسجد اليوسفيه ويقع في الناحية الغربية الشمالية من قلب الحير وهو مخصص للنساء وفيه مدخل يفضي الى حجرة فيها المشهد العلوي لضريح سيدنا يوسف عليه السلام وبمحاذاة الحير من الناحية الشرقية يقوم مسجد يعرف بالمسجد الجاولي نسبة لبانيه ناظر الحرمين الشريفين ابو سعيد سنجر الجاولي .

رابعا : مقام النبي داوود

وهو من الامكنة الاسلامية التى يحترمها المسلمون والمقام يضم ضريح النبي داوود والمسجدين الملاصقين له .

يقع المقام على ربوة مرتفعة من الربى التى تتالف منها مدينة القدس ويسمونها جبل صهيون وتحيط به ابنية كثيرة وهو بيد المسلمين يقيمون فيه صلواتهم الخمس يوميا بانتظام دون انقطاع ، وقد اختلف العلماء في تعيين المكان الذي دفن فيه النبي داوود فقال قائلون : انه مدفون في القدس في الحي المعروف بحي النبي داوود ومن هؤلاء المقدسي في كتابه «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» وغيره كثيرون وقال اخرون انه مدفون في بيت لحم ومن هؤلاء ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) وهناك من يقول انه وان كان قد

دفن في القدس الا ان قبره موجود في الكنيسة المعروفة بالجثمانية عند (وادي قدرون) . ومهما كان الامر فان الانباء تواترت واجمع الناس منذ القديم على ان داوود مدفون في هذه البقعة من الارض وفي رأيي انه اذا كان هناك خلاف في وجود قبر داوود كما نرى فإن القداسة انما تعود للمسجدين الموجودين على المقام .

خامسا : المساجد غير المساجد التى ذكرناها يبلغ عددها ٣٤ اربعة وثلاثين مسجدا وهى :

١ – جامع قبة موسى .
٢ – جامع باب حطه .
٣ – جامع كرسي سليمان .
٤ – جامع المغاربه .
٥ – جامع باب الغوانمة .
٦ – جامع دار الامام .
٧ – جامع خان الزيت .
٨ – جامع حارة اليهود الكبير .
٩ – جامع حارة اليهود الصغير .
١٠ – جامع سويقة علون .
١١ – جامع القلعة .
١٢ – جامع الخانقاه .

١٣ - جامع قنبر .
١٤ - الجامع العمري .
١٥ - الجامع اليعقوبي .
١٦ - جامع بني حسن .
١٧ - جامع حارة الارمن .
١٨ - جامع طريق النبي داوود .
١٩ - جامع حارة الجوالدية .
٢٠ - جامع الشيخ لولو .
٢١ - الجامع الصغير .
٢٢ - جامع البراق الشريف .
٢٣ - جامع خان السلطان .
٢٤ - جامع القرمي .
٢٥ - جامع حارة النصارى .
٢٦ - جامع البازار .
٢٧ - جامع الزاوية النقشبندية .
٢٨ - الجامع المسعودي .
٢٩ - جامع الشيخ جراح .
٣٠ - جامع وادي الجوز .
٣١ - جامع حجازي .
٣٢ - جامع النبي داوود .
٣٣ - جامع عكاشة .

٣٤ - جامع المطحنة .
وهذه الجوامع تقع كلها في مدينة القدس .

الآثار الاسلاميـــة

هناك عدد من الزوايا التي يجد فيها الغرْباء وابناء السبيل والدراويش الذين ينتمون إلى طرق مختلفة مايساعدهم من المأكل والنفقة منها : الزاوية النقشبندية ، والادهمية ، والقادرية وسواها وعددها إحدى عشرة زاوية .

كما ان للمسلمين في القدس تسع عشرة مقبرة وضريحا وهى :

مقبرة ماميلا (مأمن الله) .
مقبرة الساهرة وتسمى مقبرة المجاهدين ايضا .
مقبرة باب الرحمة .
المقبرة اليوسفية .
مقبرة النبي داوود .
تربة علاء الدين البصيري .
التربة الاوحدية .
التربة الجالقية .
التربة السعدية .
التربة الكيلانية .

تربة توركان خلتون .

التربة الطشتمرية .

تربة القرمي .

تربة النبت .

تربة الملك حسام الدين بركه خان .

التربة المهمازيه .

تربة الست .

تربة الشيخ جراح .

تربة القيمرية .

ضريح عكاشة الصحابي الجليل المشهور .

الاماكن المسيحية المقدسة

١ – كنيسة القيامة

بنتها الملكة هيلانه ام قسطنطين عام ٣٣٥م في الموضع الذي اكتشف فيه الصليب الذي صلب عليه المسيح كما يزعمون . واحرقها الفرس عام ٦١٤م واحرقوا معها جميع الكنائس والاديره التى كانت في القدس فاعاد بناءها الراهب (قووستوس) رئيس دير العبيديين آنذاك .

وصف الكنيسة

لها قبتان كبيرتان الا ان واحدة اكبر من الاخرى بقليل فالكبرى وهى إلى الغرب هى القائمة فوق القبر المقدس والاخرى الى الشرق وهى قبة الكنيسة (نصف الدنيا) تلك الكنيسة القائمة تجاه القبر المقدس وتنضوي الى هاتين القبتين كنائس اخرى مختلفة في المساحة والشكل والقدم وتقدر الارض القائمة عليها كنيسة القيامة بنحو ثمانين مترا في ستة وستين مترا وفيها عدا عن قبر المسيح سبعة قبور : اثنان منها ليوسف الراعي واسرته وهما في معبد كائن غربي القبر المقدس واثنان في مدخل الغرفة التى تراها الى يمينك اذا مادخلت الكنيسة من بابها القبلي الكبير وهما لغودفري وبولدوين من ملوك الصليبيين وواحد في حجرة للروم يسمونها (حبس المسيح) ولايدري احد لمن هذا القبر وهناك امام الكنيسة من الخارج قبر سادس لإنكليزي من قادة الصليبيين (فيليب دويتي) والسابع قبر الاربعين شاهدا عند كنيسة (مار يعقوب) وهناك قبورا اخرى لايعلم عنها شيء وفي كنيسة القيامة ثلاثة عشر بئرا تتجمع فيها مياه الامطار وكان الناس فيما مضى يحلون نعالهم ليدخلوا الكنيسة ويظهر ان هذه العادة دامت حتى اوائل القرن التاسع عشر ثم زالت . ويقوم على حراسة ابوابها عائلتان اسلاميتان هما : آل جوده

وآل نسيبه وقد اختلف المؤرخون في تحديد التاريخ الذي توليتا فيه هذه المهمة غير انهم اتفقوا على ان آل جوده هم الذين يحتفظون بالمفاتيح وان آل نسيبه هم الذين يفتحون الكنيسة في مواعيدها المقررة ومتى فتحوا الباب اعادوا المفاتيح لمن سلمهم اياها وهكذا .

ويقول آل نسيبه ان هذه الوظيفة بأيديهم منذ زمن عمر بن الخطاب ٦٣٦م وان اول من تسلمها هو جدهم عبد الله وأن عبد الله ابن امرأة من الخزرج تدعى (نسيبه) وكان لها ولدان : حامد ، بقي في المدينة وعبد الله اشترك في فتح القدس وكان من الصالحين ولما تم للمسلمين فتح القدس ودخلها عمر بن الخطاب سلمه البطريرك صفرونيوس مفاتيح القيامة فناولها عمر الى عبد الله بن نسيبه مؤتمنا اياه لزهده وتقواه وتوارث آل نسيبه هذه المهمة منذ ذلك الحين الى الفتح الصليبي وانه عند مجيء الصليبيين نزحوا عن القدس مع من نزح من المسلمين ومن المسيحيين الشرقيين الارثوذكسيين فنزلوا قرية بورين من اعمال نابلس وسكنوا فيها ولم يعد آل نسيبه الى القدس بعد الفتح الصلاحي مباشرة . فأمر السلطان صلاح الدين ان تسلم المفاتيح الى آل غضيه اجداد آل جوده ولما عاد آل نسيبه طالبوا بحقهم فعز على القاضي ان ينقض حكما مضى عليه وقت طويل وقضى بأن تبقى المفاتيح في عهدة آل غضيه على ان يتولى آل نسيبه

فتح الابواب ورضي بحكمه الطرفان وهكذا درجت العادة منذ ذلك الزمان .

ويقول المؤرخ عارف العارف : اطلعني الاب كرياكوس رئيس كنيسة القيامة على تقرير وضع في عهد الانتداب البريطاني ١٩١٧ و١٩٤٧ ويظهر ان واضعه من كبار موظفي حكومة فلسطين وقد جاء فيه ان تلك العادة اي احتفاظ المسلمين بمفاتيح القيامة وفتحها وضعها المماليك عام ١٢٨٩م وعندما قرأت هذا التقرير رجعت الى التاريخ فوجدت انه كان على كرسي السلطنة يومئذ السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون وقد عقد هذا السلطان مع الفرنج هدنة ١٢٨٣ جعلت جميع الديار المصرية والحجازية والشامية والاردن وفلسطين بما فيها القدس تابعة له وبعد ذلك بسنتين ١٢٨٥ اصدر السلطان مرسوما يقضي بان لايستخدم في وظائف الدولة احد من اهل الذمة اليهود والنصارى هذا ماذكره المؤرخون ولعل تسليم مفاتيح القيامة للمسلمين جاء في اعقاب ذلك المرسوم الذي اشار اليه الطبري في كتابه تاريخ الدولة والملوك ج ١٤ ص ١١٨ ، والدكتور محمد جمال الدين سرور في كتابه دولة ابن قلاوون في مصر ص ٢٣٣ .

٢ - درب الآلام - وهى الدرب التى يعتقد المسيحيون ان المسيح سلكها حاملا صليبه يوم ساقه جند الروم للصلب

بعد ان حكم عليه الحاكم الروماني بالموت .

٣ – قبر البستان ، وهو المكان الذي يقول بعض المسيحيين وهم البروتستانت ان المسيح صلب فيه ويقع شمالي المدينة وعلى بعد بضع مئات من الامتار من سورها تجاه الباب المعروف بباب العمود ويقول معظم الكاثوليك انه صلب في الموضع الذي تقوم عليه كنيسة القيامة ومنهم من يتردد في قبول هذا الرأي او ذاك لانه لم يرد في الانجيل مايشير بالضبط الى موضع الصلب وان جاء فيه مايدل على انه صلب في موضع يقال له الجمجمة .

الروم الارثوذكس

للروم الارثوذكس في القدس اديرة نذكر منها :

١ – دير ابينا ابراهيم في ساحة كنيسة القيامة .

٢ – دير ماريوحنا المعمدان ، بين سويقة علون والشارع المؤدي الى حارة النصارى .

٣ – كنيسة ستنا مريم في وادي قدرون .

٤ – دير مارسابا على مقربة من سلوان .

٥ – دير العذراء الى الجنوب من كنيسة القيامة .

٦ – الدير الكبير ويعرف بدير قسطنطين الى الجنوب من بطركية الروم في حارة النصارى .

٧ - دير القديس تيودوسيبوس بين بيت لحم ومارسابا

٨ - دير المصلبه في ظاهر القدس الى الغرب .

٩ - دير البنات بجوار خان الأقباط .

١٠ -دير مار الياس قبلي القدس .

١١ - دير الجليل فوق جبل الطور .

١٢ - دير القطمون ، غربي القدس في حي القطمون .

١٣ - دير حبس المسيح على طريقة الآلام .

١٤ - دير مارخوا لامبوس .

١٥ - (دير السيدة) ودير مارانتيموس ، ودير القدس ودير صهيون ، ودير مارجرجس ، ودير مارمخايل (ودير القديسة كاترين) ، ودير مارسبيريدون ، ودير مارديمترى ، ودير مارنقولا ، ودير انوفريوس ، ودير ابي ثور ، ودير العازر .

الروم الكاثوليك

١ - كنيسة القديسة حنا ، ودار القديسة فبرونيكا :

وكذلك يوجد للآباء الافرنسين بعض الاثار المقدسة كدير المخلص ، والكازنوفا ويسمونها الدار الجديدة ودار البطريركية ، وكنيسة الجسمانية وكنيسة مارفرنسيس .

ويوجد للارمن ، دير مار يعقوب ويسمونه دير القديس جيمس الكبير ودير الزيتونه وحبس المسيح ولهم كنائس في كنيسة القيامة منها الجلجلة الثانية وكنيسة ماركريكور لوسا موريتش وكنيسة المْريمات .

وللاقباط : دير السلطان ودير مارانطونيوس وكنيسة القديس انطونيوس وكنيسة الملكة هيلانه ودار للاسقفية ودير مارجرجس .

وللسريان الارثوذكس : دير مار مرقش ، ودير العدس ، دير مارتوما ، ودير صغير في كنيسة القيامة باسم يوسف ونقوديموس معبد في كنيسة ستنامريم ، معبد على جبل الزيتون .

الموارنة

ليس لهم سوى دير الموارنه في الحي المعروف بحي الموارنه بين سويقة علون وحارة الأرمن . وكذلك يوجد للروس والالمان معابد واديرة لامجال لذكرها وكذلك للجالية البولونية والاميركية ، حيث يوجد للروس كنيستان ودير يدعى بالمسكوبيه . وللالمان ثلاث مدارس وكنيستان ودير ونزل اوغستا فكتوريا وللطائفة الاسقفية الانجيلية العربية كنيسة واحدة وللاميركان كنيسة واحدة .

وللارسالية الانجليزية لطائفة البروتستانت اربع كنائس

ومدرسة . .

وللمسيحيين ٤ مقابر في القدس وهناك مقبرة انكليزية في شمال المدينة وهى مقبرة حربية انشأها الانكليز فور احتلالهم المدينة .

٢ – مغارة بيت لحم

هذا المكان الذي يعرف الآن باسم المهد هو عبارة عن المغارة التى ولد فيها عيسى عليه السلام واليه اشار الانجيل (لوقا الاصحاح الثاني (١ – ٦) بقوله : ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في ايام هيردوس الملك اذا مجوس من المشرق قد جاءوا الى اورشليم قائلين اين هو المولود ملك اليهود ، فاننا رأينا نجمة في الشرق واتينا لنسجد له فلما سمع هيردوس الملك ذلك اضطرب وجميع اورشليم معه . فجمع رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم اين يولد المسيح ؟ فقالوا له في بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبطي : «وانت يابيت لحم ارض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل «انجيل متى الاصحاح : ٢ – ٦» .

وقد فسّر القديس (جوستين) ذلك سنة ١٥٥م بقوله : وبما ان القديس يوسف لم يجد له مأوى في قرية بيت لحم

حيث كان الخان الوحيد فيها ممتلئا بالقادمين ليسجلوا اسماءهم بموجب امر الامبراطور الروماني التجأ الى اقرب مغارة من القرية وبما انه من ابناء بيت لحم كان يعرف الكثير من هذه المغاور الطبيعية المنتشرة حول بيت لحم والتي كان الرعاة يسكنونها مع مواشيهم في فصل الشتاء وجاء المخاض فولدت مريم طفلها فلفته ووضعته في مذود للبهائم كان في تلك المغارة طلباً للدفء والوقاية من البرد الشديد (انظر كتاب جولة في تاريخ بيت لحم) تأليف حنا عبد الله جقمان مطبعة بطريركية الروم الارثوذكس سنة ١٩٨٤ ص ٦٢ وقد تغير المذود الذي وضع فيه المسيح واستبدل بمذود مصنوع من الفضة الخالصة اكراما له .

وقد ذكر بعض الحجاج في سنة ٥٧٠م ان مغارة المهد صغيرة جدا ولاتزال مزينة بالذهب والفضة وان مدخلها صغير ينزل اليه بدرج يبدأ من وسط الكنيسة كنيسة المهد ويتجه من الشمال الى الجنوب ثم ينحني من الجنوب الى الشرق وهذا يؤكد انه كان للمغارة باب واحد فقط . ويرجح معظم المؤرخين ان المدخلين الحاليين لمغارة المهد اقيما في عهد الامبراطور جوستنيان عندما اعاد بناء كنيسة المهد الحالية في مكان كنيسة القديس قسطنطين فقد رأى المهندسون ان يجعلوا لها بابين ليْسهل على الزوار والحجاج النزول الى المغارة من باب والخروج من باب آخر . وفي الجهة الشرقية

من هذه المغارة يوجد المكان الذي ولد فيه المسيح واقيم فوقه هيكل يتألف من بلاطةً من الرخام ترتكز على اربعة اعمدة صغيرة ويوجد تحته نجمة محفورة في الرخام مكتوب عليها (في هذا المكان ولدت العذراء مريم الطفل يسوع المسيح) وقد كانت الكنيسة والمغارة تحتويان على الموزاييك البديع الصنع ورسومات العذراء والقديسين وقد تغنى الكثيرون بجمالها ودقة صنعها وبخاصة رسوم المجوس الساجدين للطفل يسوع وهم يقدمون هداياهم وقد كان هذا البلاط يقل ويختفي تبعا لمن كان يحكم البلاد من الغزاة والفاتحين .

مغارة المهد في الحاضر

كما قلنا ان المغارة تقع تحت هيكل الكنيسة مباشرة وقد كان لها باب واحد وقد تم فتح بابين لها في عهد الامبراطور جوستنيان ، ام البابان اللذان نشاهدهما في الوقت الحاضر فيرجع عهدهما الى القرن الثاني عشر الميلادي اي الى زمن الصليبيين ، فكل باب وما حوله مبني من الرخام الابيض المصقول وكل باب عبارة عن قوس اكبر ويليه قوس اصغر منه وكل قوس له عمودان على جانبيه كالباب الشمالي ينزل اليه بست درجات من الحجر الوردي على شكل نصف دائرة

ثم ينزل من الباب الى الداخل بعشر درجات وكل مدخل له باب حديدي وكذلك الباب الجنوبي فانه صمم على نفس الطريقة . وعندما تنتهي من نزول الدرجات تواجهك ارضية مستطيلة الشكل بمساحة ١٢٫٣٠ × ٣٫٥٠ مترا والمغارة معتمة مضاءة بـ ٤٨ قنديلا وفي القرن السادس رممت جدران المنارة الجانبية لتلبيسها ببلاط الرخام من الارضية حتى السقف اما الجدران الصخرية الطبيعية فيمكن مشاهدتها فوق مكان المذود واول مايواجه الداخل الى المغارة (الهيكل الذي تحته نجمه) كما اشرنا وعليه يقيم الروم والارمن صلواتهم في اوقات محددة لكل منهم ، ويقابل المذود تجويفه من الصخر ينزل اليها بثلاث درجات ويسند سقفها عمود من الحجر الوردي طوله متران يرجح انه من عمل المهندس جوستنيان ليكون دعامة قوية يحمل مافوقه من بناء وفي زوايا التجويف يوجد عمودان من الرخام الابيض حفر عليهما الحجاج عدة صلبان صغيرة اما ارضية المذود فقد ادخل عليها عدة تصليحات لاصلاح التلف الحاصل من وطىء اقدام ملايين الحجاج والزوار الذين زاروا هذا المكان وهى مبلطة الآن ببلاط الرخام الذي كان ناصع البياض فاصبح الآن داكنا لمرور الزمن وامام المذود اقيم هيكل كرّسي باسم المجوس وعليه يقيم اللاتين قداديسهم في مغارة المهد وفوق مذبح المجوس صورتان بديعتان من رسم الفنان الايطالي (جون

فافيليولي) واحدة تمثل منظر المجوس والاخرى تمثل الرعاة الساجدين للطفل ورسم الفنان نفسه لوحة (الجلوريا) وجلوريا هو الاسم اللاتيني للنشيد الذي جاء ذكره في الانجيل «المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وللناس الصالحين المحبة» .

وقد تعرضت مغارة المهد على مرور الزمن للزلازل والحرائق وفي الوقت الحاضر تغطى ثلاثة جدران من المغارة بستائر من مادة الاسبستوس قدمها سنة ١٨٧٤م مارشال مكماهون رئيس جمهورية فرنسا في ذلك الحين يتخللها ثقوب تربط فيها حبال القناديل لرفعها او خفضها عند تزيينها واشعالها وخلف الستائر لايزال بلاط رخام القرن الثاني عشر يغطي الجدران وعلى هذه الستائر توجد بعض الصور ولكنها ليست ذات اهمية فنية . وحول مكان الولادة توجد ستائر ثمينة تزّين المكان ولكنها معرضة دائما لدخان القناديل وايدي الزوار (للتبّرك) والجانب الغربي من المغارة مغلق بحائط يوجد خلفه ممر يؤدي الى مغارة القديس «جيروم» ارضيته اوطأ من ارضية المغارة وسقفه اعلى قليلا من سقفها .

هذا ولا نجد لولادة المسيح والاشارة الى المهد وصفا ادق واعظم من وصف القرآن الكريم لها فقد قال الله تعالى **﴿واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا اليها روحنا**

فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا ، فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ان لاتحزني قد جعل ربك تحتك سريا(١٥) وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ، فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ياأخت هارون ماكان ابوك امرأ سوء وماكانت امك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اين ماكنت واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا﴾ (سورة مريم ١٦ — ٣٣) .

اما ماورد في انجيل متى الاصحاح الاول ١٨ — ٢٤ .

---

(١٥) السري : الرجل العظيم الخصال ، السيد .

فهو مايلي : اما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا «لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ ان يشهرها اراد تخليتها سرا ولكن فيما هو متفكر في هذه الامور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يايوسف بن داوود لاتخف ان تاخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لكي يتم ماقيل من الرب بالنبي القائل : هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل يعني (الله معنا) ، فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما امره ملاك الرب واخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع» .

وجاء في الاصحاح الثاني ١ – ٦ «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية ايام هيردوس الملك اذا مجوس من الشرق قد جاءوا الى اورشليم قائلين اين هو المولود ملك اليهود . . الى آخر مامر سابقا» .

اخلاق اليهود على ضوء التوراة والتلمود

لايخفى على احد سلوك اليهود وانحرافهم منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا فهم الذين كذبوا انبياءهم الذين

جاؤهم بالهدي والصلاح وهم الذين قتلوا زكريا وابنه يحيى وهما نبيان من انبيائهم فقد جاء في انجيل (برنابا) وهو تلميذ المسيح البار الذي كان يلازمه – ان المسيح قال لليهود ستأتي عليكم دماء الانبياء الذين قتلتموهم الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح ويذكر المفسرون ان زكريا والد يحيى قتل في الحادث الذي قتل فيه ابنه[١٦] ، كما انهم دسوا على الانبياء من الصفات المشينة مالا يتفق مع اخلاق الانبياء وقداسة الرسالة التى كلفهم الله بتبليغها للناس ، فقد افتروا على ابراهيم خليل الله ونسبوا اليه كثيرا من التهم والاباطيل التى لاتحتاج الى كثير من الوقوف عندها والتدقيق فيها لكشفها ودحضها كل ذلك لينصرف ابناء اليهود عن رسالات السماء الى تعاليم الحكماء المنافية لها والتى تضع الفكر الصهيوني في خدمة الوطن الذي يحلمون به .

وقد كان موقفهم من لوط اسوأ بكثير اذ نسبوا اليه الزنا مع ابنتيه فقد جاء في التوراة : (وصعد لوط من (صوغر) وسكن في الجبل وابنتاه منه لانه خاف ان يسكن (صوغر) فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة : «ابونا قد شاخ وليس في الارض رجل ليدخل علينا كعادة اهل الارض ، هلم نسقي ابانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من ابينا نسلا فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضجعت مع ابيها

(١٦) انظر قصص الانبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٦٨ .

ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها ، وحدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة اني قد اضطجعت البارحة مع ابي ، نسقيه خمرا الليلة ايضا فادخلي واضطجعي معه فنحيي من ابينا نسلا فسقتا اباهما خمرا ونامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها فحملت ابنتا لوط من ابيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه (موآب) وهو ابو الموآبيين الى اليوم ، والصغيرة ايضا ولدت ابنا ودعت اسمه (بن عمي) وهو ابو العمونيين حتى اليوم » (سفر التكوين اصحاح ١٩) .

وكذلك فعل اليهود بداوود عليه السلام فقد اتهموه بأنه ارتكب الزنا مع زوجة قائده اوريا الحثي وتآمر عليه فقتله ليحظى بها زوجة له تقول التوراة في ذلك : «واما داوود فاقامَ في اورشليم وكان في وقت المساء ان داوود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل وسأل عن المرأة فقال واحد : اليست هذه «بتشبّع» بنت اليغام امرأة اوريّا الحثي ؟ فأرسل داوود رسلا واخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ، ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة فارسلت واخبرت داوود انها حبلى ، فارسل داوود الى يوآب يقول : أرسل لى اوريا الحثي فارسل يوآب اوريا الى داوود فأتى اوريا اليه فسأله عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داوود لأوريا : انزل الى

بيتك واغسل رجليك ، فخرج اوريا من بيت الملك وخرجت
وراءه حصة (اي جماعة) من عند الملك ونام اوريا على باب
بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته فأخبروا
داوود قائلين : لم ينزل اوريا الى بيته فقال داوود لأوريا اما
جئتَ من السفر ؟ فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال اوريا
لداوود ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام
وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وانا
آتي الى بيتي لآكل واشرب واضطجع مع امرأتي ؟ وحياتك
وحياة نفسك لاافعل هذا الامر فقال داوود لأوريا اقم هذا
اليوم ايضا وغدا اطلقك فأقام اوريا في اورشليم ذلك اليوم
وغده ودعاه داوود فأكل امامه وشرب واسكره وخرج في
المساء وذهب ليضطجع مع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته وفي
الصباح كتب داوود مكتوبا الى يوآب وأرسله بيد أوريا
وكتب فيه يقول : اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة
وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت وكان في محاصرة يوآب
المدينة انه جعل اوريا في الموضع الذي علم ان رجال البأس
فيه فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب
من عبد داوود ومات اوريا الحثي ايضا . فارسل يوآب واخبر
داوود بجميع امور الحرب واوصى الرسول قائلا عندما تفرغ
من الكلام مع الملك عن جميع امور الحرب فان اشتعل
غضبه وقال لك : لماذا دنوتم من المدينة للقتال ؟ اما علمت

انهم يرمون من على السور ؟ من قتل «ابيمالك بن بربوشت» ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات في تاباص ؟ فقل : لقد مات عبد اوريا الحثي ايضا .

فذهب الرسول واخبر داوود بكل ماارسله فيه يوآب واخبره بموت اوريا وموت بعض عبيد الملك فقال داوود للرسول : هكذا تقول ليوآب : لايسوء في عينيك هذا الامر لأن السيف يأكل هذا وذاك شدد قتالك على المدينة واضربها وشدده فلما سمعت امرأة اوريا انه قد مات اوريا رجلها ندبت بعلها ولما مضت المناحة ارسل داوود وضمها الى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا واما الامر الذي فعله داوود فقبح في عيني الرب» سفر صموئيل الثاني اصحاح : ١١ .

فأرسل الرب ناثان الى داوود فجاء اليه وقال له : كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والاخر فقير وكان للغني غنم وبقر كثيرة جدا واما الفقير فلم يكن له شيء الا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بيته جميعا تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة فجاء ضيف الى الرجل الغني فعفا ان يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيء للضيف الذي جاء اليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء اليه فحمي غضب داوود على الرجل جدا وقال لناثان من هو الرجل ؟ لابد من قتل الرجل الفاعل ذلك وبرد النعجة اربعة اضعاف لانه فعل هذا

الأمر ولم يشفق فقال ناتان لداوود : انت هو الرجل لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه ؟ قد قتلت اوريا الحثي بالسيف واخذت امرأته لك امرأة والآن لايفارق السيف بيتك الى الابد هكذا قال الرب اقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك امام عينيك واعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس لانك انت فعلت هذا بالسر وانا افعل هذا الامر قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس» سفر صموئيل الثاني اصحاح : ١٢ .

فانظر ايها القارىء الكريم هذه الكذبة الكبيرة والفرية الاثيمة التى الصقوها بداوود عليه السلام والاعجب من هذا ان يقابل رب اليهود الزنا بزنا مثله فينتقم من داوود بجعل نساءه يزنين مع اقارب داوود قدام اسرائيل علنا وقدام الشمس فتعالى خلق الانبياء عن هذه الاعمال المنكره وتعالى الله عما يصف اعداء الله .

كذلك اتهم اليهود النبي سليمان عليه السلام بالشرك وعبادة الاصنام فقد جاء في التوراة «واحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع زوجته بنت فرعون من موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحيثيات فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه وكان في زمان شيخوخة

سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داوود ابيه فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كأبيه داوود فغضب الرب على سليمان وقال من اجل ذلك فاني عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التى اوصيتك بها فاني أمزق المملكة عنك تمزيقا واعطيها لعبدك الا اني لاافعل ذلك في ايامك من اجل داوود ابيك بل من يد ابنك امزقها ، على اني لاأمزّق منك المملكة كلها بل اعطى سبطا واحدا لابنك لاجل داوود عبدي ولاجل اورشليم التى اخترتها» . سفر الملوك الاول اصحاح ١١ .

وقبل خروجهم من مصر الصقوا به تهمة الحض على السرقة فقد جاء في التوراة وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى طلبوا من المصريين امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا واعطى الرب نعمه للشعب في عيون المصريين حتى اعاروهم فسلبوا المصرين .

وقد جاء في التوراة ايضا مايلي :

(فخاصم الشعب موسى وقالوا اعطنا ماء لنشرب فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني ؟ لماذا تجربون الرب ؟ وتذمر الشعب على موسى وقالوا : لماذا اصعدتنا من مصر لتميتنا واولادنا ومواشينا بالعطش ؟ فصرخ موسى الى الرب قائلا :

ماذا افعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني) سفر الخروج : ١٧ .

ثم ان اليهود بعد ان صعد موسى الى جبل الطور تنفيذا لأمر الرب كما جاء في التوراة وقال الرب لموسى اصعد الى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم (اي تعليم اليهود) سفر الخروج ٢٤ : ١٢ – ١٣ اجبروا اخاه هارون ن يصنع عجلا من الذهب ليسجدو له ويعبدوه فقد جاء في التوراة : ولما رأى الشعب ان موسى ابطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا لأن هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لانعلم ماذا اصابه فقال لهم هارون انزعوا اقراط الذهب التى في اذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها فنزع الشعب اقراط الذهب التى في آذانهم وأتوا بها الى هارون فأخذ ذلك من ايديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك ياسرائيل التى اصعدتك من ارض مصر فلما رأى هارون بني مذبحاً امامه ونادى هارون وقال غدا عيد للرب فبكّروا في الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للاكل والشرب ثم قاموا للّعب ، فقال الرب لموسى اذهب انزل لانه فسد شعبك الذي اصعدته من ارض مصر فزاغوا سريعا عن الطريق الذي اوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا

وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يااسرائيل ؟ وقال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة فالآن تركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم» سفر الخروج : اصحاح : ٣٢ .

وتذمر اليهود من موسى لأنه اخرجهم من مصر وتذكروا حياتهم الرغدة ومآكلهم الشهية فيها . كما تذمر موسى منهم ومن اقوالهم فقد جاء في التوراة : «فعاد بنو اسرائيل وبَلوا وقالوا من يطعمنا لحما وقد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم فلما سمع موسى الشعب يبكون قال للرب : لماذا اسأت الى عبدك حتى انك وضعت ثقل جميع الشعب على لعلّي حبلت بجميع هذا الشعب ؟ ولعلّي ولدته حين تقول لي احمله في حضنك كما يحمل المربي الرضيع» سفر العدد اصحاح : ١١ .

ثم ان اليهود جبناء كما ذكرهم القرآن الكريم : **﴿لايقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتىً ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾** الحشر : ١٤ .

وقد رأيناهم في قراهم المحصنة ورأيناهم في لبنان وراء دباباتهم وآلياتهم التى اتخذوها كالجدر لتصد عنهم ، وجاء في التوراة : (وعندما ارسل موسى جواسيسه الى ارض كنعان عادوا واخبروا القوم انهم رأوا الشعب الساكن فيها ، شعبا

معتزا والمدن حصينة عظيمة جدا فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وهارون جميع بنى اسرائيل وقال لهما كل الجماعة : ليتنا متنا في ارض مصر ، اوليتنا متنا في هذا القفر ولماذا اتى بنا الرب الى هذه الارض لنسقط بالسيف وتصير نساؤونا واطفالنا غنيمة ؟ اليس خيرا لنا ان نرجع الى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا ونرجع الى مصر» سفر العدد اصحاح : ١٤ .

وفي سفر التثنية اصحاح : ٣١ «وقبل موت موسى جمع اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا لهم : انا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هوذا وانا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتي ؟ لأني عارف انكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي اوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الايام لانكم تعملون الشر امام الرب حتى تغيظوه باعمال ايديكم» .

وفي سفر القضاة اصحاح ٣ وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فشدد الرب عجلون ملك موآب على اسرائيل فجمع اليه بني عمون وعماليق وسار وضربوا اسرائيل وامتلكوا مدينة النخل فعبد بنو اسرائيل ملك موآب ثماني عشرة سنة» .

اما مافعله اليهود بالمسيح عليه السلام فقد حذفوه من

١

تاريخهم الديني وليس فيه أية اشارة تدل على رجل جاء باسم المسيح او أنه صلب وقتل وقد اخبر الدكتور (اسرائيل ولنفسون) ان مسألة «قتل المسيح كانت موجودة في التلمود ولكن اليهود اخرجوها حتى لايقوم بينهم وبين الشعوب التي يعيشون بينها اي عداء غير ان المسيحيين جعلوا الاعتقاد بصلب المسيح من صلب العقيدة وقالوا ان اليهود صلبوه وانه بموته افتدى البشرية من خطيئة ابيهم آدم ، الامر الذي يخالف العقيدة الاساسية عندهم فقد جاء في سفر التثنية ص ٢٤ اصحاح ١٩ لايقتل الآباء عن الاولاد ولا يقتل الاولاد عن الآباء كل انسان بخطيئته يقتل» كما انه يخالف العقيدة ايضا لما جاء في سفر التثنية ص ٢١ اصاح ٢٣ ان الذي يعلق على خشبه ملعون من الله وكيف يلعن الله من لم يخطىء ، . . واذا كان على انسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة (٢٣) فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لان المعلق معلون من الله فلا بتخس ارضك التى يعطيك الرب الهك نصيبا) . . .

بعض الأقوال في التلمود

توسع حاخامات اليهود في شرح التوراة فشرحوها حسب رغباتهم وشهواتهم وحولوها الى تعاليم محددة واضحة وثابتة

واخذوا هذه التفسيرات من مصدرين اساسيين هما تلمود اورشليم وكان موجوا في فلسطين سنة ٣٣٠م وتلمود بابل وكان موجودا في مدينة بابل سنة ٥٠٠م ثم زيد عليها وصدرت من التلمود طبعات اهمها طبعة امستردام ١٦٤٤ وطبعة وارسو ١٨٦٣ وطبعة براغ ١٨٣٩ وفيها زيادات على طبعتي اورشليم وبابل الاساسيتين .

واليهود يقدسون التلمود ويعتبرونه اهم من التوراة ويقولون فيه ان من احتقر اقوال الخاخامات استحق الموت وانه لاخلاص لمن ترك تعاليم التلمود وتمسك بالتوراة فقط لان اقوال علماء التلمود افضل مما جاء في شريعة موسى(١٧) .

ويقولون : ان مخافة الحاخامات هي من مخافة الله وان من يقرأ التوراة دون التلمود ليس له آله وجاء في التلمود ان تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها او تغييرها ولو بأمر الله .

ويقولون : لقد وقع خلاف بين الله وعلماء اليهود في امر من الامور وبعد ان طال الجدال احيل الخلاف الى احد الحاخامات الذي حكم بخطأ الله مما اضطره سبحانه وتعالى الى الاعتراف بخطأه كما امرهم بأن لايقرض اليهودي اليهودي بربا بل يقرض الاجنبي بربا (سفر التثنية اصحاح ٣٣ - ٣٤) .

---

(١٧) الكنز الموجود في قواعد التلمود للدكتور روهلنج ترجمة الى العربية الدكتور يوسف نصر الله ١٨٩٩م ، وكذلك (خطر اليهودية العالمية على الاسلامية والمسيحية ، لعبد الله التل

وبلغ عددهم في مصر ايام موسى ستمائة الف نسمة استوطن اكثرهم ارض جاسان (محافظة الشرقية) وتملوكها وهى من اخصب اراضي مصر ونموا نموا كبيرا وتسلطوا على مصر ودبروا المكائد وقاموا بالثورات واصبح يخشى منهم على المصريين وحين خرجوا من مصر كانت عدتهم ستمائة نفس . (سفر الخروج الاول - اصحاح : ١٤) .

بعض تعاليم التلمود

١ - «اعتراف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكي قائلا تبالي لاني صرّحت بخراب الهيكل واحراق بيتي ونهب اولادي» .

٢ - «ان نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات والنطفة المخلوق منها باقي الشعوب هى نطفة الحصان» .

٣ - «تتميز ارواح اليهود عن باقي الارواح بانها جزء من الله كما ان الابن جزء من ابيه وارواح اليهود عزيزه عند الله بالنسبة لباقي الارواح لان الارواح غير اليهودية هى ارواح شيطانية تشبه ارواح الحيوانات» .

٤ - «الفرق بين الانسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب» .

٥ – «قتل المسيحي من الامور الواجب تنفيذها وان العهد معه لايكون عهدا صحيحا يلزم به اليهودي ان الواجب ان يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يظهرون العداوة ضد بني اسرائيل» .

٦ – «ان يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار وان امه مريم أتت به من العسكري (باندارا) بمباشرة الزنا» .

٧ – «ان الكنائس النصرانية بمقام قاذورات وان الواعظين فيها اشبه بالكلاب النابحة» .

٨ – «الاسرائيلي معتبر عند الله اكثر من الملائكة فاذا ضرب «اممي» اسرائيليا فكأنه ضرب العزة الالهيه ويستحق الموت» .

٩ – «الأمم الخارجه عن دين اليهود أشبه بالحمير ويعتبر اليهود بيوتهم اشبه بزرائب الحيوانات» .

١٠ – «ليس من العدل أن يشفق الانسان على اعدائه ويرحمهم» .

١١ – «يحق لليهودي ان يغش الكفار» .

١٢ – «مصرح لليهودي أن يوجه السلام للكفار شرط أن يهزأ بهم سرا» .

١٣ – «يجب على كل يهودي ان يبذل جهده لمنع استملاك باقي الامم في الارض لتبقى السلطة لليهود وحدهم

واذا تسلط غير اليهود حق لهؤلاء ان يندبوا ويقولوا ياللعار وياللخراب» .

١٤ – «اذا جاء امامك الاجنبي والاسرائيلي بدعوى فاذا امكنك ان تجعل الاسرائيلي رابحا فافعل واستعمل الغش والخداع في حق الاجنبي حتى تجعل الحق لليهودي» .

١٥ – «لليهودي الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات واليهودي لايخطىء اذا اعتدى على عرض غير اليهودية لأن كل عقد زواج عند غير اليهود باطل فالمرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة والعقد لايقوم بين البهائم» .

١٦ – «اللواط جائز لليهودي بزوجته لأن الزوجة خلقت للاستمتاع بها وهي في ذلك مثل قطعة لحم اشتراها من الجزار ويمكنه اكلها مسلوقة او مشوية حسب رغبته» .

١٧ – « على اليهود ان يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة وعلى كل يهودي ان يلعن المسيحيين وغيرهم كل يوم ثلاث مرات» .

١٨ – «كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الاصنام فيجب على اليهود تخريبها» .

١٩ – «نحن شعب الله في الارض وقد فرقنا الله لمنفعتنا ذلك لانه سخر لنا الحيوان الانساني واهل كل الامم والجناس سخرهم لنا لاننا نحتاج نوعين من الحيوانات نوع اخرس كالدواب والانعام والطيور ونوع ناطق كالمسيحيين

والمسلمين والبوذيين وغيرهم من امم الشرق والغرب وسخر هؤلاء لخدمتنا وفرقنا في الارض لنمتطي ظهورهم ونحركهم كما نشاء ونستغل علومهم وفنونهم لمنفعتنا لذلك يجب علينا ان نزوج بناتنا الجميلات للملوك والامراء والوزراء والعظماء وان ندخل ابناءنا في الديانات المختلفة لتكون لنا الكلمة العليا في الدول والحكومات فنوقع بينهم وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضا ومن ذلك كله نجني اكبر الفوائد» .

٢٠ - «على اليهودي ان يقسم عشرين مرة كذبا ولايعرض اليهودي للضرر» .

٢١ - «يجوز لليهودي ان يشهد زورا وان يقسم ان مايقوله صحيح وان يؤول ذلك في سره»[١٨] .

وبعد هذا قليل من كثير من اخلاق اليهود ، وهذا هو فكرهم السياسي الصهيوني الذي وضع اربعة وعشرين بروتوكلا يجعل من الكذب ، والارهاب ، واعتبار الحق في القوة ، والمضاربة والرشوة والاحتكار ، وتسخير الشعارات ، وابعاد الحكام الاقوياء ، واختيار الحكام الضعفاء ، مبادىء ملزمة يتقيد بها اليهود الى غيرها من المبادىء العدوانية التى تحقق حلمهم الكبير في الدولة

---

(١٨) انظر كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود» لشوقي عبدالناصر ، طبعة ثانية ص ٢٣ ـــ ٢٨ .

اليهودية العالمية ، على انقاض الدول والحكومات القائمة الكبرى والصغرى ، ولست اجد في هذا المقام افضل من تذكير اميركا – وهي .الدولة الوحيدة المساندة لهم – بخطاب هذا المقام افضل من تذكير امريكا – وهى الدولة الوحيدة المساندة لهم – بخطاب رئيسها الراحل (بنيامين فرانكلين) في المؤتمر الذي انعقد سنة ١٧٨٩ لاعلان الدستور الاميركي الذي قال فيه : (هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الامريكية) ، ذلك الخطر هو اليهودية» .

ايها السادة ، حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ويزعزعون الخلق التجاري الشريف ، انهم كّونوا حكومة داخل الحكومة ، وحينما يجدون معارضة من احد فانهم يعملون على خنق الامة ماليا كما حدث للبرتغال واسبانيا ، ومنذ اكثر من ١٧٠٠ سنة وهم يندبون مصيرهم لا لشيء الا ادعائهم انهم طردوا من الوطن الأم . ولكن تأكدوا ايها السادة انه اذا اعاد اليهم اليوم عالمنا المتمدن فلسطين فانهم سيجدون الكثير من المبررات لعدم العودة اليها او الاكتفاء بها ، لماذا ؟ لأنهم مثل الطفيليات التى لاتعيش على نفسها ، انهم لايستطيعون العيش فيما بينهم ، انهم لابد من أن يعيشوا بين المسيحيين ، وبين الآخرين الذي ليسوا من جنسهم . اذا لم يمنع اليهود من الهجرة الى امريكا بموجب الدستور ففي اقل من ١٠٠ سنة سوف يتدفقون على هذه

البلاد باعداد كبيرة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لاقامتها دماءنا وحياتنا واموالنا وحريتنا الفردية ، اذا لم يمنع اليهود من الهجرة فانه لن يمضي اكثر من ٢٠٠ سنة ليصبح ابناؤنا عمالا في الحقول لتوفير الغذاء لليهود الذي يجلسون في البيوت المالية مرفهين يفركون ايديهم غبطة .

إني احذركم أيها السادة اذا لم تمنعوا اليهود من الهجرة الى امريكا الى الابد فسوف يلعنكم ابناؤكم واحفادكم في قبوركم .

ان عقليتهم تختلف عنا ، حتى لو عاشوا بيننا عشرة اجيال فان النمر لايستطيع ان يغير جلده ، اليهود خطر على هذه البلاد ، واذا سمح لهم بالدخول اليها فسوف يخربون دستورنا ومنشآتنا ، يجب منعهم من الهجرة بموجب الدستور .

والآن ماذا نرى ؟ نرى ان حدس الرئيس الاميركي الحر قد تحقق وان الصهاينة سيطروا على سياسية امريكا والبرهان على ذلك ان دول العالم بدون استثناء مع الحق الفلسطيني وامريكا وحدها مع الباطل الصهيوني فهل من بنامين فرانكلين آخر لامريكا ؟ وهل يتحد العرب وانا الكفيل لهم بسقوط اسرائيل دون حرب او قتال .

المراجـــع

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس – العهد الجديد مترجم من اللغة اليونانية وطبع في كمبردج ١٩١٧ .
- (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى ولمحة عن تاريخ القدس) لعارف العارف : مطبعة دار الايتام الاسلامية بالقدس سنة ١٩٥٥.
- (تاريخ القدس) لعارف العارف . دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١ .
- (المفصل في تاريخ القدس) لعارف العارف طبعة اولى ، مطبعة المعارف بالقدس سنة ١٩٦١ .
- (الجريمة اليهودية النكراء احراق المسجد الاقصى المبارك) الهيئة العربية العليا لفلسطين بيروت ١٩٦٩ .
- (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر طبعة ثانية منقحة تحقيق الشيخ عبد القادر بدران ، دار المسيرة .
- (مدينة دمشق) ، للدكتور صلاح المنجد – دار الكتاب العربي – ١٩٦٧ .
- (جولة في تاريخ بيت لحم) تأليف حنا عبد الله جقمان ١٩٨٤ .
- (خليل الرحمن العربية مدينة لها تاريخ) للدكتور يونس عمرو ، ١٩٨٧ ، منشورات مركز البحث العلمي في جامعة الخليل .
- (بلادنا فلسطين) لمصطفى مراد الدباغ – دار الطليعة – بيروت .
- (بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود) لشوقي عبد الناصر– طبعة ثانية – مطابع دار التعاون للطبع والنشر .

- (الجامع لاحكام القرآن) للقرطبي دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٧ .
- (قصص الانبياء) لعبد الوهاب النجار ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة ثانية .
- (القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني) مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت – ووزارة الدفاع الوطني – الجيش اللبناني – طبعة اولى – ١٩٧٣ .
- (الجوهر الرجعي للصهيونية) (مجموعة مقالات) دار التقدم بموسكو ١٩٧٥ .
- احياء علوم الدين للغزالي – دار المعرفة – بيروت .
- (الترغيب والترهيب) للمنذري تحقيق مصطفى محمد عمارة ، دار الفكر – بيروت ١٩٨١ .

الفهرست